

مطبوعات  
الشرق

قطاع الثقافة

الزوجة

والعريس



ثروت أباطة

إبراهيم

اهداءات ٢٠٠٢

أ/ثروت اباطة

القاهرة

قطاع الثقافة



مطبوعات اذهار اليوم

رئيس مجلس الإدارة :

إبراهيم سعد

■ دار الخبار اليوم ■

## قطاع الثقافة

جمهورية مصر  
العربية  
٦ شارع الصحافة -  
القاهرة  
تليفون / فاكس  
٥٧٩٠٩٣٠

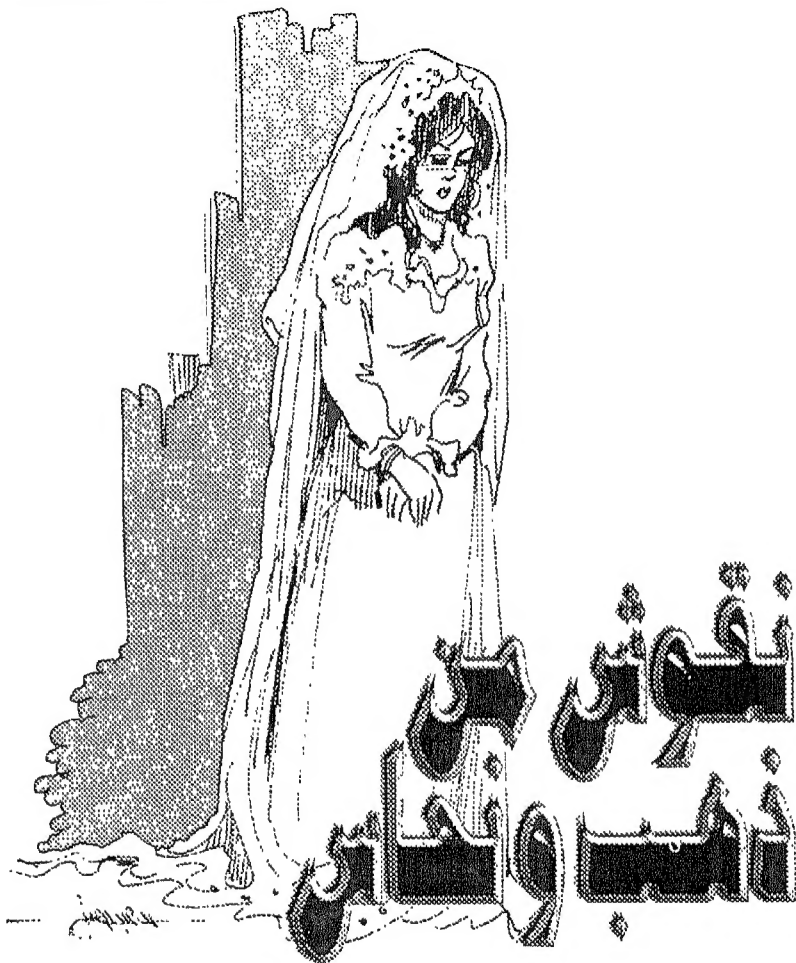
الغلاف والتصميم الداخلى :

**احمد سامح**

الغلاف والرسوم الداخلية بريشة الفنان :

**سيد عبد الفتاح**

□ نفوس من ذهب و نیکاس



ثروت أبیة



## □ نفوس من ذهب ونحاس

١

هى قصة ذات عروق بعيدة فى اغوار الزمن. لست بطلا من أبطالها ولكننى أحب أن أحكيها.. كيف أحكيها وأنا لست واحدا من أبطالها.. هل يهمك كثيرا أن أكون من أبطالها مادمت سأرويها لك.. لن أقول لك انها من واقع الحياة. فلا أحب أن أكون سخيلا إلى هذا الحد. ولكننى فى الواقع لست أدرى إن كنت أنت تحب الرواية من واقع الحياة أم من واقع الخيال. يقول الروائيون إن أهم شيء فى العمل الفنى أن يكون مقنعا ولا يهم من بعد المصدر الذى يصدر عنه. ولكن الحياة حين تؤلف لا تحاول أن تقنع. إنها تؤلف وتنفذ مؤلفها على الحياة وعلى صلات الناس بعضهم ببعض. وعلى بدايات حياتهم وعلى نهايتها ولا يعنيا فى شيء أن تكون مقنعة أو غير مقنعة للناس.. الناس جميعا فى كل مكان شهود فى كل قصة. وأبطال فى كل قصة. وقد تلهيهم الأحداث عن محاولة الفهم. وقد يفكرون. والذين يفكرون هم الأغبياء لأنهم لن يبلغوا من تفكيرهم إلى ما تصبو إليه نفوسهم من طمأنينة. بل هم سيزدادون

## □ نفوس من ذهب وفلاس

حيرة وقلقا. بل قد يزدادون سخطا وتبرما ولا تعنى الحياة فى كثير أو قليل بحيرتهم أو قلقهم أو سخطهم أو تبرمهم.  
تجرب فيهم وما يعلمون.  
كتجربة الطب فى الأرنب

ولكن هل تجرب فيهم الحياة حقيقة كتجربة الطب. إن الطب حين يجرب يحاول أن يصل إلى نتيجة معينة من تجربته. فإلى أى نتيجة تحاول أن تصل الحياة؟ يبدو أننى سأصبح غبيا كهؤلاء الذين يفكرون.. عادة ساذجة. عادة التفكير هذه.. وكلما ازداد التفكير عمقا يكون صاحبه أكثر سذاجة.. فالأنكيا وحدهم هم الذين يعرفون أن لا أمل أن يصلوا بتفكيرهم إلى نتيجة مؤكدة. واضحة المعالم. ولكن هناك أنواعا من التفكير لا بأس بها.. منها ذلك التفكير الجاد الخطير الذى كان يستغرق راشد بك برهان وهو جالس بمكتبه الضخم فى سرايه الواقعة بشارع خيرت..

كان راشد بك يريد أن يسافر إلى أوروبا وهو يبحث عن مواعيد السفن المسافرة. وهو حريص على أن يسافر على أول باخرة.. فقد تشوق إلى باريس وإلى أصدقائه هناك. ولست فى حاجة إلى ذكاء لتعلم أن هؤلاء الأصدقاء إنما هن صديقات. ولكن الحشمة تحتم أن نكتبها أصدقاء. إنهن كثيرات هؤلاء الأصدقاء..

كان اليوم هو السبت وقد وجد راشد بك سفينة فى طريقها إلى مرسيليا فى يوم السبت الذى يليه. وكان لابد له أن يبلغ السيدة والدته عن هذا السفر حتى تشرف على تجهيز ملابسه. وترى ما الذى يحتاج إليه قبل أن يسافر. وكان لابد له أيضا أن يستقل القطار إلى التفتيش ليلقى نظرة نهائية على حسابات الزراعة ويأخذ ما حصله حمزة أفندى البلاشونى من إيراد الأرض.



## □ نفوس من ذهبه فله

وقام راشد بك إلى والدته وراح يصعد السلم إلى الطابق الأعلى فى هدوء وفى تفكير عميق. كان السلم يفضى إلى بهو عريض شامخ الأعمدة عميق الفخامة تقوم فيه الأرائك الضخمة عليها القطبقة المزركشة القادمة من جنوا. وكانت والدته قد أنشأت لنفسها فى هذا الطابق غرفة للجلوس تستقبل فيه صديقاتها. وكانت أمه جلفدان هانم تحب أن تجلس فى هذه الغرفة حتى وإن لم يكن لديها صديقات تستقبلهن. وهكذا لم يكن راشد بك محتاجا أن يتخلّى عما يفكر فيه ليتجه إلى الغرفة. إنما هو يقصد إليها دون ومضة من تفكير..

إنه يعلم أنه سيفتح الباب وسيراها فى كرسيها الكبير المجاور للمرأة التى تواجه الباب. يعلم ذلك ولم يفكر فيه.. لقد كان مشغولا بما يحتاج إليه من نقود فى باريس وبما سيجده عند حمزة أفندى البلاشونى ويفتح الباب. أمه بجانب المرأة. والمرأة مازالت تواجه الباب ولكن... ما هذا الجمال الذى يقف بجانب صورتى فى المرأة.. من هذه؟ كيف لم أرها قبل اليوم. وكيف كان يمكن أن أراها. طبعا سترقع اليشمك إلى وجهها. لقد بقيت العينان.. تكفينى العينان.. جمال الدنيا كلها فى هاتين العينين. لم يحس راشد بك بالاعين الأخرى التى تعلقت به. ولا أحس بعينى أمه التى أدهشها وقوفه بعد تأكده من وجود حريم معها. لم يحس شيئا من هذا وإنما ظل رانيا إلى العينين اللتين تطلان من فوق اليشمك. وطالت به الوقفة حتى اضطرت الأم آخر الأمر أن تقول:

- فيه حاجة راشد بك؟

وانتبه راشد بك فجأة لينحنى قائلا وهو يقفل الباب:

- عفوا هانم أفندى.

ويعود إلى مكتبه. ويجد جدول البواخر ينتظره فيطويه فى هدوء ويضعه فى الدرج الأسفل من مكتبه. ويمد رجله على المكتب ويذبح



## □ نفوش من ذهب و نباله



## □ نفوشر من ذهب و نكاح

طربوشه إلى الراء ويستغرق مفكرا فى لا شىء

\* \* \*

حين يسمع أقدام السيدات تعبر فناء السراى يقف إلى الشباك وينظر إليهن وهن يركبن العربية التى تجرها أربعة خيول مطهمة. ولم يلتفت إلى العربية ولا الخيول. وإنما تثبت نظره على التى تسير خلفهن جميعا. فلم يكن يشك لحظة أنها أصغرهن. وأنه لابد لها أن تكون خلفهن جميعا.. إن قوامها أكثر جمالا من عينيها.. أكان لابد أن يكون لهذه السراى سلم للحريم وآخر للرجال.. كنت أريد أن أراها عن قرب.. وماذا ينفع القرب. إن جمالها لا يحتاج إلى كثير من امعان النظر.. إنها جميلة.. أو هى فاتنة لاشك فى ذلك. ولكن ماذا يمكننى أن أفعل.. أخطبها.. هكذا مرة واحدة. وماذا يمكن أن أفعل غير هذا..

- هانم أفندى.

- إنها ابنة عثمان باشا فكرى.

- لا يفوتك شىء.

- وقفك أمام الباب كانت طويلة.

- عيناها.

- نعم جميلة.

- أنت موافقة.

- لا مانع.

سكت راشد بك ولم يسأل أمه عن شىء.. وعم يسأل.. ابنة عثمان باشا فكرى.. الأمر اذن لا يحتاج إلى سؤال.. أما ثروته فمعروفة. كانت ألفى فدان بقى منها بضعة فدادين بعد البذخ الذى كان يعيش فيه. راشد بك لا يحتاج إلى مال. فثروته لا يحصيها العد. وإن كان هو يجيد احصاءها ويعرف كل خافية منها.. وعثمان باشا رجل ذو مكانة مرموقة

## نقفهش من ذهب ونخاله

فى الحياة المصرية. ولاشك أنه تولى ابنته بالتربية المعهودة. فهى تجيد التركية والفرنسية وعزف البيانو واختيار الملابس واستقبال الناس وتنسيق الأثاث وإعطاء الأوامر للخدم.. ولا داعى إذن للسؤال. ولكن أمه.

- لم تسأل عن خديجة؟

- اسمها خديجة؟

- يقولون إنها متحررة فى آرائها.

- كم عمرها؟

- بينك وبينها خمس عشرة سنة تقريبا.

- أنا لست كبيرا..

- ولست صغيرا.

- ست وثلاثون سنة اكتمال الرجولة.

- وعشرون سنة بداية الأنوثة.

- ولكنها ابنة عثمان باشا فكرى.

- الأنوثة لا شأن لها بعثمان باشا فكرى.

- ما رأيك؟

- لن نجد خيرا منها.

- فلماذا إذن المناقشة؟

- أريدك أن تعرف.

- إذن؟

- أخطبها لك.

# □ نفوش من ذهب و نكاح



## □ نفوس من ذهب ونحاس

المفروض أن أروى لك فى هذا الفصل موقف خديجة من هذه الخطبة. ويمكن أن أروى لك هذا الموقف بطرق عدة.. فمثلا أستطيع أن أقول إن خديجة كانت تحب ابن خالتها عزت بهادر الذى نشأ معها منذ الطفولة الأولى. وكان يقاربه فى السن. ومادما نتكلم عن هذه الطبقة من الناس فالمفروض أن أقول لك أنه يهوى ركوب الخيل ويجيده. وأنه طلق اللسان - بالفرنسية طبعاً - وأن لغته العربية لا تكاد تستقيم. وأنه ممشوق القوام. تافه العقلية. لا يفكر إلا فى أتفه الأمور وأسخفها. وأكون بذلك سائراً وراء كل من كتب عن هذه الطبقة.

أو كان من الممكن أن أقول لك مثلاً أن عثمان باشا فكرى دخل إلى ابنته فقال لها.

- أبشرى يا خديجة.. عندى لك أعظم خبر.

- صحيح يا بابا؟

وطبعاً حين تقرا بابا لا بد لك أن تشد البائين. فهكذا تنطقها ممثلات السينما فى أفلامنا العربية.. نرجع الآن إلى الحوار الذى كان من

## □ نفوس من ذهب ونحاس

المفروض أن أقدمه إليك.. يقول الأب وقد تهلل وجهه بالفرح:

- جاءك عريس لا مثيل له فى مصر.

وهنا كنت سأحتار كيف أكمل المشهد... هل ستطرق خديجة فى حياء؟  
أم تراها كانت ستقول.

- من؟

وعلى الحالين كان عثمان باشا يقول:

- راشد بك برهان.

وكنت سأحتار أيضا. كيف تتصرف خديجة بعد هذا. هل كانت ستسأل أباه عن العريس وأحواله جميعا من شكل وعمر.. وطبعاً لا داعى للسؤال عن الشهادة أو الثقافة. فقد كانت هذه الأشياء فى ذلك الحين بعيدة عن مجال السؤال عند السيدات. وتوشك أن تكون كذلك عند الرجال أيضاً.

أم تراها كانت ستطرق حياء وخجلاً وتقول الجملة التى لم يستطع كاتب حوار أن يغير منها شيئاً على طوال السنين.  
- اللى تشوفه يابابا.

ولعلى كنت سأخرج من هذه الحيرة بوسيلة أكثر يسراً وأقرب إلى منطق الأمور فأجعل خبر الخطبة ينتقل إلى الابنة عن طريق أمها. وانتهاز هذه الفرصة لأقدم إليك كل ما لم تعرفه بعد عن راشد بك برهان على لسان الأم.

ولكن ما العجلة فى تعرفك على راشد برهان. ولماذا لا تتكلم عن خديجة قليلاً.. فأنت لم تعرف عنها إلا أن عينيها جميلتان. ولكنك أنت لم تعرف مثلاً. أن قوامها فارع رشيق لا تطغى عليه نحافة. ولا يفرط عليه سمن، وهى ذات شعر ناعم أطلقت عنانه.. هدر على كتفيها فى عريضة طاغية. وجبينها عريض فيه ذكاء. وعيناها اللتان عرفت أنهما جميلتان

## □ نفوس من ذهب ونحاس

ففيهما جرأة. وفيهما تطلع إلى المستقبل في وثوق الذكى. وفي فتور الأتشى. وانفها دقيق. مائل قليلا إلى الخد الأيمن. هذا الميل يراه بعضهم جمالا ويراه بعض آخر عيبا في جمالها الفاتن.

وإن كنت من الذين يحبون أن يوصفوا بالمتقنين فلعلك تحب أن تعرف شيئا عن ثقافتها.. قرأت كورنى وراسين وقولتير وهيجو وفلوبير وروسو. حتى اعترافات روسو قرأتها وقرأت شكسبير مترجما. وقرأت ديكنز وهاردي وتولستوى ودستوفسكى.. أظنك عرفت الآن أنها كانت تحب القراءة. وكانت تعبد الشعر. فقد كانت تحفظ روايات كورنى وراسين جميعا وتحفظ كثيرا من شعر هيجو. ولم تكن تميل كثيرا إلى مضحكات موليير..

كانت القراءة عندها هي الوسيلة التي تفتح لها النافذة على عالم لم يكن من الممكن أن تخالطه أو تندمج فيه.. فقد كان الحريم جزءا منفصلا عن المجتمع في ذلك الحين.. يحركه من داخل البيوت ولكنهن لا يشاركن في حركاته.

وكانت خديجة - شأن كل فتاة - تعرف أنها ستتزوج في يوم من الأيام. وكانت تعتقد أنها ستتزوج رجلا مثقفا تستطيع أن تشترك معه في أحاديث طويلة عن الشعر والأدب. وكانت الخشية تخالجها أن يكون هذا المثقف ذا ثقافة عربية وإنجليزية. وليس ذا ثقافة عربية وفرنسية. فالمثقفون في ذلك العهد كانوا جميعا يجمعون إلى العربية ثقافة أجنبية أخرى.

ولم يكن الغنى في ذاته أمرا ذا بال عند خديجة. فالغنى عند الأغنياء شيء مفروض يعتقدون هم أنه طبيعى.. يصاحب التكوين البيولوجى لأجسامهم. فالمال عندهم شيء من المقرر وجوده كما يوجد لها عينا وفانف وشفتان ولكن الثقافة هي التي كانت نادرة الوجود. فإذا وجدت



## □ نفوس من ذهب وفضة

فهى عميقة راسية الأصول بعيدة الأغوار. وقد كانت خديجة لا تتصور أن يكون خطيبها غير مثقف. ولم يكن تفكيرها هذا مجافيا للصواب. فإن والدها الذى أتاح لها هذا التثقيف لا يقبل أن ينالها شخص لا يقف مع ما بلغته من دراسة على درجة واحدة. فإن تفاوتت الدرجة فليكن هو فى العليا لا فى السفلى. وهى فى سذاجتها الثقافية نسيت أن للمال عند الأغنياء نداء ولغة يفهمونها جميعا دون اتفاق بينهم. فمن الطبيعى ألا يتزوج الغنى إلا ذات ثراء. ومن الطبيعى أن يسارع الثرى بقبول الغنى خطيبا لابنته.

وهذا الاتفاق غير المكتوب بين الأغنياء يتضمن أن كل شىء غير الثراء يمكن اغتفاره أو تجاهله.

وهكذا لم يكن عجيبا أن يقبل عثمان باشا فكرى خطبة راشد بك دون ريث من تفكير. وخصوصا أنه أصبح غنيا سابقا. ولكنه مازال يحمل اللقب «غنى».

ومن الطبيعى أيضا أن تقبل خديجة الزواج. فهى تعلم أنها نهاية محتومة لحياة البنت فى بيت أبيها. أو بداية محتومة لخلية جديدة من الحياة.

والاسم الذى تقدم لخطبتها اسم ش. ر فى عالم الثراء. وليس شهيرا فى عالم الثقافة. فقد كان المجتمع فى ذلك الحين لا يلقى ستارا من التجامل على أى مهتم بالثقافة. فلو كان على جانب منها مهما يكن ضئيلا لذاع صيته. بل إن الحياة كانت تتيح لمن يهوى شراء الكتب أن يصبح شهيرا فى عالم التثقيف حتى وإن لم يقرأ هذه الكتب. وقد كان أغلب هذا النوع من الهواة يكتفى من الهواية بالشراء دون القراءة. القراءة لها ناس.. وشراء الكتب له ناس آخرون. والذين يقرأون لا يهمهم مطلقا طريقة الطبع التى يهتم بها الشراؤون. كل ما يعنى أهل القراءة أن

## □ نفوس من ذهب و نبال

تكون الحروف واضحة جلية لا لبس فيها ولا غموض. وقد يكون هذا الوضوح فى ذاته سببا فى رخص الكتاب لا فى غلو سعره. ولا تنتظر منى أن أفيدك كثيرا فى الشروط التى لابد منها ليكون الكتاب تحفة أثرية ذات شأن. فأننا من ذلك النوع الساذج الذى يجب أن يقرأ ولا يهمه أن يقتنى.

على أية حال ثم يكن راشد من القراءين أو الشرائين المدمنين وإن كان ملما بكثير من الكتب. وكان غنيا مدمنا للغنى. وإن كانت خديجة فى آمال اليقظة وأحلام النوم ترجو أن يكون زوجها مثقفا يحب كورنى وراسين أو المتنبى وشوقى على الأقل إلا أن هذه الآمال وتلك الأحلام لم تكن شروطا أساسية فى اختيار رجلها. فقد كانت ثقافتها تتيح لها قدرا من الذكاء تعرف به أنها هى لا تملك من حرية الاختيار القدر الكافى الذى يسمح لها أن تضع الشروط. ولو توافرت هذه الحرية فما كانت لتجعلها تضع هذه الشروط. فهذه الآمال والأحلام لم تكن إلا خواطر تهفو إلى النفس أو تهفو إليها النفس. ولكن خديجة تعلم كل العلم أنها أمل لا يزيد. أو حلم مصيره المؤكد التيقظ على الحقيقة.

وهكذا أعفتنى خديجة من الحيرة التى خشيت أن تتولانى أمامك فى بداية هذا الفصل ولم توجه إلى أبيها إلا سؤالا واحدا:

- هل أنت راض عنه؟

- وأين أستطيع أن أجد مثله؟

- أمرك اذن.

لم تسأل كم عمره. فالمجتمع لم يكن قد أتاح بعد للفتاة أن تسأل عن عمر زوج المستقبل. وإذا كانت امتنعت أو منعتها التقاليد أن تسأل هذا السؤال الطبيعى المعقول. وهى أيضا لم تكن تحب ابن خالتها عزت فالطرق إذن جميعها مغلقة دون أى أسئلة أخرى. بل لعلها لم تكن تحتقر

# □ نفوش من ذهب و نكاح



## □ نفوسه هو ذهبه فخاله

أمامك فى بداية هذا الفصل ولم توجه إلى أبيها إلا سؤالاً واحداً:

- هل أنت راض عنه؟

- وأين أستطيع أن أجد مثله؟

- أمرك اذن.

لم تسأل كم عمره. فالمجتمع لم يكن قد أتاح بعد للفتاة أن تسأل عن عمر زوج المستقبل. وإذا كانت امتنعت أو منعتها التقاليد أن تسأل هذا السؤال الطبيعى المعقول. وهى أيضا لم تكن تحب ابن خالتها عزت فالطرق إذن جميعها مغلقة دون أى أسئلة أخرى. بل لعلها لم تكن تحتقر أحدا فى حياتها قدر احتقارها لهذا العزت. فهو فراغ تجسم فى هيكل انسانى. يعنى كل العناية بشاربه وشعر رأسه. ولكنه لا يبذل أقل عناية برأسه هذا من داخله. فإن رأيت تمثالا. وإن حادثته وجدت التمثال خيرا منه.

فأنا اذن لا أستطيع أن أقيم عقبة من أى نوع تمنع زواج خديجة من راشد.

وتم الزواج.



# □ نفوس من ذهب و نكاح



## □ نفوس من ذهب وفلاس

لو كان المتزوج احدا آخر غير راشد لكان من الطبيعي أن يكون شهر العسل فى مصر. ولكن راشد يحب أن يذهب إلى أوروبا ويحب أن يبهر زوجته بالحياة الباذخة التى يعيشها. والفتاة على ثقافتها فى بواكير العمر ومطالع الحياة. فهى برعم يريده راشد أن يتفتح على يديه. وهو صاحب الخبرة الواسعة عن الورود التى لا تعرف الذبول. ولا يدركها ما يدرك الورود من شحوب.

يريدها امرأة كاملة المعالم: يدعو إلى بيتها كبار الناس. فيبهرهم من بيته غنى وافر. يصاحبه الذوق الرفيع. وهو يعلم منها أنها فى بيت أبيها كانت تهتم بالكتاب. ولكنه أيضا كان يقدر أن التى تهتم بالكتاب تستطيع أن تهتم بكل شئ. وهو يراها فى حجرة نومه امرأة ناضجة خبيرة عالمة بما يرضيه. ويطمئن غرور الرجل فيه ونزوته فى وقت معا.

وهو يريدها اذا ذهبت لاجتمع من النساء أوقعت فى نفوسهن الحسرة والغيرة أو الاعجاب والاكبار. ويريد منها أن تكون نموذجا للأناقة.

طراز عجيب راشد. فهو قد نال من التعليم المنتظم قدرا ربما اعتبره

## □ نفوس من ذهب ونحاس

البعض ضئيلا. وخرج بعد ذلك إلى الحياة. فإذا هو يصاحب الحياة صعبة عميقة لبقية، ويوغل فيها أيقالا رفيقا فى بعض الأحيان، وفيه عنف شديد فى بعض آخر من الأحيان.

عرف الناس من كل متجه من متجهات الحياة، ودرس من القانون ما يعنيه من القانون، فإذا هو يفوق عتاة المحامين ومشاهيرهم، وضارب فى بورصة الأوراق المالية والقطن فانسكب عليه المال يزيد غنى، وأصبح راشد شخصية مرموقة فى المجتمع المصرى تضطر الأنظار أن تلتفت إليه. فلم يكن التعليم المنتظم هو المصدر الوحيد للثقافة فى ذلك الحين. بل إن المحامين كانوا يعملون بغير شهادة من الحقوق فى ذلك الزمن. وقد اختار راشد من الثقافة ما يرى أنه يحتاج إليه. ولهذا لم يكن عجيبا أن يتقن الفرنسية لا ليقرأ بها كورنى وراسين، وإنما ليقرأ بها العقود وليضارب بها فى البورصة، وليجتذب بها الأصدقاء من الفرنسيين، وتعلم الإنجليزية وأتقنها، ولكن شكسبير وملتن وهاردى وديكنز كانوا لا يعنون عنده شيئا إلا أسماء يرددها على مسمع الانجليز الذين يتعرف عليهم.

قد كان نوع الثقافة التى يتمتع بها راشد من فصيلة أخرى بعيدة كل البعد عن تلك الثقافة التى أتقنتها خديجة، حتى لنستطيع القول فى ثقة إنه من الطبيعى أن كلا منهما كان يعتبر الآخر غير مثقف.

وراشد يعتبر الحياة عملا ومتعة، وهو يمازج بينهما فى مقدرة بارعة، فلم يكن عجيبا أن يصحب زوجته إلى باريس، كان راشد يريد أن يستغنى بزوجه عن كل نساء العالمين، ولهذا كان يريد فيها كل نساء العالمين.

لم تكن خديجة تتصور أن ترى هذا الذى رآته فى فرنسا. وكان أبعد شيء عن ذهنها أن ترى هذا الذى رآته مع زوجها بالذات. فالأيام القليلة التى قضتها معه فى بيته فى مصر طالعته منه مهابة لم تر فى حياتها

## □ نفوش من ذهب ونداس

رجلا يتمتع بها. فحديثه أمر وإن تسريل بالرجاء، ورأيه نهائى وإن تزيد بالتواضع. نوع من المهابة لا يعرفه إلا صاحب المهابة الكبيرة الترتجعل صاحبها كبيرا.

وفى الباخرة إلى باريس.

- تعرفين اننى عشت سنوات بلا زواج؟

- نعم.

- كان طيبعا أن أعرف نساء أخريات.

- مادام قبل الزواج فهذا شأنك.

- طبعا أنا لا استأذن منك عن شىء صنعته فى الماضى.

فلماذا تخبرنى؟

- لا أريد أن أخفى عنك أولئك اللواتى عرفتهن فى فرنسا.

- أتريدهن أن يكون صديقات لك وأنت متزوج؟

- اسمعى يا خديجة، أنا فى صداقاتى الفرنسية لم أكن أعرف إا

فتيات الملامى.

- إذن.

- أنا أريد متهن أن يكن تسليتك فى فرنسا.

- إذن.

- سنذهب إلى الأماكن التى يرقصن فيها وسيقبلن على وقد يقبلننى.

- يقبلنك.

- وماذا يهملك؟

- لا أريد.

- كنت أستطيع أن أخفى عنك هذا وأذهب بك إلى أماكن أخرى.

وأزورهن دون علمك.

- لا بأس فلنذهب إليهن.



## □ نفوس من ذهب ونخاله

- سيصبحن أداة تسلية لك.

- أنت عندى الآن كل نساء العالم، وستجدين أنك عندى كل نساء العالم، وأنا لا أحب أن أعد بأشياء سأنفذها، فانى أحب أن يكون التنفيذ هو الوعد وتحقيقه فى وقت معا.  
وكان عند الوعد والتنفيذ.

ورأت فرنسا. رأت منها باريس وغير باريس.

كانت فى خيالها مسرح أحداث الروايات ومعانى حب وحدائق هوى ونسمات قصص لبلزك ودوديه وفلووير وغيرهم، وكانت فى أحناء خيالها رؤى مجنحة لا يحيط بها تعريف واضح.. كانت تبدو فى خفى الوعى منها أحلاما. يشملها ضباب، فهى بلا وضوح وتكسوها أستار شفيفة، فهى فى نفسها عميقة ولكن بلا معالم موجودة ولكن بلا تثبيت، سماوية أحيانا لعوبا أحيانا أخرى، أو أرضية مسرفة فى عمق الواقع لما صنعه بها زولا وفلووير وستندال والآباء الأوائل للواقعية.

ثم رأتها وغاص بها زوجها فى عميق حناياها، فازداد فى عينيها جمالها ولم ترفض نفسها الواقعية فيها. فهى واقعية إن أسرفت فى الفجور فهى تعنى فى الوقت نفسه بتجميل هذا الفجور حتى يصبح نوعا من المتع البشرية التى تلتئم مع طبيعة الحياة فى باريس، لا ترفضها باريس ولا من يزور باريس حتى اذا خرجت عن باريسها هذه أصبحت تهتك أعافه النفس وترفضه وتحقر كل من يلم به.

رات الغوانى التى كن صويحيات زوجها، وقبلن زوجها أمامها فلم تحس لذعة غيرة قبلهن.

لم تحس أن اللواتى يقبلنه نسوة عرفهن، وإنما أحست أن ماضيه هو الذى يقبله، وكانت قد بدأت تحب زوجها فهى تحب أن يرضى عنه ماضيه كما يرضى عنه حاضره، وكما ترجو أن يرضى عنه مستقبه.

## □ نفوس من ذهب و نبال

- والغريب أن فتاة منهن طلبت أن تجلس معها فى جلسة خاصة، كاذ  
قد أحسست من لقاء هذه الفتاة بزوجها أنها أقربهن إليه.  
وقالت لها الفتاة عجباً:  
- أنت زوجته؟  
- نعم.  
- حقاً؟  
- وأى عجب فى ذلك؟  
- أردت أن أتأكد.  
- أنا زوجته.  
- أتعرفين كيف يظل زوجك؟  
- أعرف كيف أخلص له.  
- هل أنت سخيقة إلى هذا الحد؟  
- هل الاخلاص سخف؟  
- الاخلاص مفروض، لا يحتاج الرجل أن يكافئ زوجته عليه.  
- ماذا؟  
- طبعاً أنت مندهشة أن تسمعى هذا الكلام منى.  
- لا.. أبداً.  
- بل أنت مندهشة.  
- لنفرض.  
- اسمعى.. لقد كنت فتاة زوجك فى فترة من الفترات.  
- ربما أدركت ذلك من لقاءك به.  
- إن ما نصنعه فى الكباريه ليس هو الحب، إنما حين نحب لا نهب  
الحب إلا لواحد، وكان زوجك يغيب عنى فترات قد تصل إلى سنة، و  
ذلك لم أكن أهب حبى لأحد طوال فترة غيابه.

## □ نفوش من ذهب و نكاح



## □ نفوس من ذهب و نبال

- ولكن.. ؟!
- إن ما نهبه للزبائن إنما هي أجسامنا فقط.. أفهمي ما أقول.. أنا أتكلم عن الحب.
- متى كان هذا؟
- لم تتغلب على واحدة من زميلاتى.. أنت فقط التى تغلبت على.
- أكرهيننى؟
- لم يكن من الممكن أن يتزوجنى فهو شرقى وأنا أعرف ظروفه.
- أشكرك.
- أتعرفين كيف تحافظين عليه؟
- ربما.
- إن لم تكن لك بضاعة إلا الاخلاص، فأغلب الأمر اننى سأستقبله قبل أن تمر على زواجكما بضعة أشهر.
- الواقع أن هذه هي البضاعة الوحيدة التى أعرفها.
- إذن فسأعلمك.
- وعلمتها...
- لقد رأت باريس وتعلمت فى أهم جامعات الحياة على أعظم أساتذة الحب والمتعة ومعرفة الرجال.
- ولم يكن ما رأيته من باريس وحدها هو حصيلة علمها. إنما ما رأيته من زوجها كان أعظم، هذا الرجل المهيب الذى سمعت عنه فى فترة الخطبة أن رجال المال العتاة لا يخشون أحدا فى البورصة قدر خشيتهم منه.
- هذا الرجل الذى استطاع بهيبته الذكية الخارقة الذكاء أن جعل حمزة البلاشونى وكيل أعماله فى الدائرة الزراعية رجلا فى غاية الأمانة. كان هذا الوكيل كما سمعت عنه يقول أن الانسان حين يسرق أى صاحب مال يعرف أنه قد يفصل من عمله، فإن كان صاحب المال قاسيا غاية فى

## □ نفوس من ذهب وفلاح

القسوة فقد يذهب به إلى السجن. أما مع راشد بك فلا يعرف أى مصير ينتظره، فهو خليق أن يصنع به كل ما لا يتوقعه أحد.

راشد هذا ينكشف فى ملاهى باريس عن هذا الشخص الذى يستطيع فى مقدرة فائقة أن يجعل كل لحظة معه متعة حتى يصبح الجالسون والجالسات جميعهم وجميعهم مغمورين فى فترة من الحياة مليئة بالحياة، تلفهم سعادة غامرة تزلزل أعماق أعماقهم فيزداد غوصهم فى لحظاتهم لا يريد أحد منهم أن يفكر فيما كان يصنع بأمره، أو فيما قد يصنعه به غده. وراشد هو روح هذه الغمرة الطاغية من الامتاع، وهو الينبوع، أو هو إن شئت الشلال الهادر بالاسعاد، وهو فى الوقت نفسه يستطيع أن يجعل كل فرد من الموجودين يعتقد أنه هو لا راشد سبب هذه السعادة وهذا الامتاع. كيف استطاع هذا الرجل المهيّب أن يكون خبير متعة لا يدانيه فى خبرته المتخصصات من فتيات الملاهى فى باريس أو أصحابهن.

وتومض فى ذهن خديجة فكرة تعمل فيها النظر وتوشك أن تؤمن بها، إن معرفة الانسان كيف يكون سعيدا وكيف يعتمر لحظات السعادة اعتصارا لا يبقى من رحيقها على قطرة، موهبة لا تتأتى إلا لعبقري يعرف كيف يعيش.. ويعرف من مسالك الحياة فى جدها ولهوها ما لا يعرفه أبناء الحياة مجتمعين.

والذى لا تعرفه خديجة أن راشد ترك فى مصر مشكلة يضيق بها أشد الضيق تهدد قدرا من ماله، ولكنه مع ذلك أقنع نفسه بأنها مسألة هينة ميسورة وأنها لا تستحق حتى أن يؤخر سفره من أجلها. لقد اغتلاه صديق له فى عشرة آلاف جنيه.

والذى لا تعرفه أيضا أن سبب اغتيال صديقه لهذا المبلغ هو زواجه منها ومعرفته لسيدة من سيدات مصر لها أهمية كبرى فى المجتمع



## □ نفوس من ذهب و نبال

المصرى. والذي لا تعرفه أيضا أنه فجع فى صديقه وفى ثقته به فجيرة إن لم تزد على فجيرة المال فهى تستوى معها.

ولكن أهذا الحديث يناسب لحظات المتعة التى يعتصرها راشد ويسقيها صرفا غير مشوبة لزوجته الحبيبة خديجة. سننسى كل هذا الذى يضيق به راشد ونتيح له ما اتاحه لنفسه من شهور صاخبات بالهناء فى ربوع فرنسا جميعا.

وعرفت خديجة عن زوجها شيئا لم تكن تتوقع أن يتخلق به. فهو لا يلعب القمار مطلقا. قد يشرب مع الشاربين ولكنه لا يقرب مائدة القمار. - ولكنه تضارب فى البورصة.

- البورصة خبرة وبعد نظر مالى ولا يصاب فيها الانسان إلا اذا حدثت أشياء لم تكن فى الحساب، ولكن القمار تسليم أموالى كاملة ليد غير أمينة ولا مخلصه ولا صديقة وهى أيدى الحظ. أنا لا أقبل هذا لكرامتى ولا لثقافتى ولا لعقلي.

- فهل المقامرون جميعهم أغبياء؟

- بل إن كثيرا منهم أذكاء.

- فمالهم يقامرون؟

- لقد أخطأوا الطريق إلى المتعة فتلمسوها على مائدة القمار، أما أنا...

- لا تكمل.. لقد رأيت.. نعم إن أحدا لا يعرف طرق المتعة كما تعرفها أنت.

- ولكن هناك شيئا لم تقله.

- وهو؟

- وهو أننى مع كل هذه المتع ظلمت لا أهب نفسى إلا لك.

- وهذا حق أيضا.

# □ نفوش من ذهب و نياس



## □ نفوس من ذهب وفضة

لماذا يتوقف العقل عند بعض الناس وينصرفون تصرفات حمقاء مع أنهم من ذوى العقل الراجح الذى استطاع أن يمكن لهم وينزلهم منزلة محترمة عند الناس.

لو أن أحدا سأل زكريا باشا حسام الدين على سبيل الاستشارة: ما رأيك فى زيجة الزوج فيها فات الخمسين منذ ست سنوات، وهو يحد الخطى نحو الستين، والزوجة فيها تمشى الهوينى إلى العشرين من عمرها لم تكملها؟ لكان جوابه متسما بالعقل والزانة وبعد النظر. فالمسألة لا يختلف فيها عقلا على شىء من الرجاحة أو على الأقل لا ينعمان بالغناء الشديد.

ولكن العجيب أن زكريا باشا حسام الدين هو نفسه تزوج الأنسة سهير ممدوح كريمة ممدوح عزت باشا، أما زكريا باشا فهو مستشار فى محكمة الاستئناف عرف بعلمه الواسع بالقانون، بل عرف أيضا بحبه للأدب، وكثيرا ما كانت أحكامه قطعاً أدبية يتغنى بها المحامون خاصة إذا صدر الحكم فى صالحهم. وهو موسع عليه فى الرزق واسع الأفق عميق النظرة ولهذا لم يكن عجيباً أن يصبح وزيراً، وقد سر بهذا



## □ نفوس من ذهب وفضة

لأنه كان يفكر منذ زمن أن يترك القضاء الجالس إلى القضاء الواقف. ولعله في ذلك تأثر بالقصة التي تروى عن أحد مشاهير المحامين في فرنسا، وكان ابنه يعمل في القضاء، وكانت سمعة ابنه أيضا عظيمة. فقد عرف عنه أنه من أحسن القضاة. وفي يوم سأل أحد الصحفيين المحامي:

- لماذا تعمل أنت في القضاء الواقف، بينما يعمل ابنك في القضاء الجالس:

فأجاب المحامي الذكي:

- لو استطاع ابني الوقوف ما جلس.

وأغلب الأمر أن الأب كان يريد ابنه أن يعمل معه في المكتب الكبير ليظل محتفظا بمكانة المكتب بعد وفاته، والراجح أن الابن كان يفضل العمل في القضاء بطبيعة مواهبه. أيا ما كان الأمر فالؤكد أن زكريا باشا تأثر بهذه القصة وأراد أن يقف عن كرسي القضاء ليصبح محاميا واثقا من عمله القانوني ومن لغته في وقت معا.

وهكذا جاء تعيينه في الوزارة خير طريق يخرج منه إلى مقاعد المحامين، كان زكريا باشا قد تزوج في أول حياته نعيمة هانم شهاب بنت مجدى باشا. وقد أنجب منها ابنتهما عدلى.

ولكن زكريا باشا كان يحب النساء، وكان بارعا في الحصول عليهن، والطريق يجمع أصحاب القصد الواحد، فلم يكن عجيبا أن يجمع طريق النساء بين الباشا زكريا والبك راشد فكانت صداقة، قوامها الأول وقد يكون الأهم النساء.

ولكن راشد صاحب مصالح كبيرة، والباشا زكريا حين ترك الوزارة إلى الحمامة أصبح يتمتع بنفوذ كبير، وأصبحت الأبواب التي لا تفتح لغيره من المحامين تفتح له، ولراشد عين يقظى كعين الصقر تدرى أين الخير لها. فقضايا راشد تنتقل أذن من تلقاء نفسها إلى مكتب الباشا، وتزداد الصداقة وثقا.

لعلك الآن تعجب ان ذكرت كل شيء عن الباشا أو اكاد ولم أذكر شيئا

## □ نفوس من ذهب ونحاس

عن زوجته الاولى نعيمة هانم شهاب ولا عن زوجها الثانية الأتيسة سهير حمدي.

وما كان لي أن أذكر شيئا عن واحدة منهما دون تفصيل لا يقبل الاجمال. فنعيمة هانم شهاب هي الابنة الوحيدة للغنى الشهير مجدى باشا شهاب، وهى سيدة علمها الفنى أن تأمر فتطاع، وليس زكريا باشا بأقل منها أو أدنى حسبا، وإنما تعلقه بالنساء، وعلمه بأنه لاشك سيخونها جعله يسمح لها بأن تأمر فتجاب، وأن تبدو وكأنها هى رجل البيت، وكان ذكاء زكريا ومعرفته أنه آخر الأمر يستطيع دائما أن يفعل ما يريد داخل البيت أو خارجه يجعله يتيح لها هذا المظهر المتأمر الصلب تقرح به هى ولا يخسر هو شيئا.

ولكن شيئا واحد فات زكريا باشا. وما هذا بعجيب، فالأذكىاء أيضا تفوتهم أشياء.

لقد استولت نعيمة هانم على ابنهما عدلى منذ ولادته. فهى وحدها صاحبة الشأن فى تربيته، وهى التى تدخله المدرسة، بل انها هى التى اختارت له الكلية التى يدخل إليها، والعجيب أن هذه الكلية لم تكن الحقوق التى تخرج فيها أبوه، والتى تخرجت فيها الغالبية العظمى من وجوه البلاد ووزرائها وحكامها.

لقد اختارت له كلية الهندسة، وقد نشأ عدلى فكرة من أمه، وخطرة منها، وأشارة من يدها، فهو لا يعرف أن يختار ولا يريد أن يعرف. فالذى لم يعرف الحرية يوما لا يفكر فيها، بل لعله اذا منحها تمثلت له شيئا بغيضا لا يطيقه ولا يحتاج إليه. فالاختيار فى الحياة صعب تمثلت له شيئا بغيضا لا يطيقه ولا يحتاج إليه. فالاختيار فى الحياة صعب ومهمة شاقة لا يتعرض لها إلا من لا يتمتع بأمر كأم المهندس عدلى التى تختار له كل شيء يتعلق به، وكل طريق ينبغى له أن يسير فيه.

وحين تخرج عدلى فى كلية الهندسة اختارت له نعيمة هانم زوجته، وتزوجها وكان عدلى على غناه دميم الخلق، وأصبح بفضل السيدة والدته كره الخلق ضعيفا تافها، وحين تزوج وأنسلخ كيانه عن كيان أمه

## □ نفوس من ذهب ونحاس

فى السكـن وخـلا به وبزـوجـته بيـت تجـلى عـلى حـقيـقـته البـشـعة إمام زـوجـته،  
أنـه لا يـجـيد فـى الحـيـاة إـلا أصـناف الطـعام فـما كان لـه فـى بـيـت أبـيه بـعد  
أمـه إـلا الطـاهى يـلازمـه فـتـعلم عـنه أصـولـه الطـهى حـتى أجـادها، وأحـس  
بالرـضـاء عـن نـفـسـه واطمـأن أنـه صـاحـب مـوهـبة، وسـبـحـان رب العـرش فـى  
عـليـاء سـمائه. يـهب لـكل عـبد مـن عـبادـه مـهما يـكن تـافـها شـيئا تـطمـنن إـليه  
نـفـسـه أنـه يـملك ما لا يـملكـه الآخـرون.

وربما كـانـت هـذه المـوهـبة بالنـسـبة لـزـوجـته فـى الأيـام الأوـلى مـن  
زواجـهما مـثار ضـحك ومـزاح. ولـكن وـيل للزـوجـة وللزـوج مـعـا إذا تـبينـا أن  
الضـحك والمـزاح إنـما هـما جـد كل الجـد. وأن عـبـقـريـة المـهـندس لـيـسـت فـى  
شـيء إـلا فـى طـهو أصـناف الطـعام.

ضـاقت الزـوجـة رـاوـية بـزـوجـها أشـد الضـيق، ولـما كان لا يـد للضـيق أن  
يـتمـثـل فـى عـمل، فـما هـو إـلا شـهر أو بـعض شـهر حـتى كان عـدلى مـطـية  
وزـوجـه راكـبـتها، يـبدو الأمر مـن النـظـرة السـطـحية أن مـثـله فـى ذـلك مـثل أبـيه  
ولـكن وهـلـة مـن أنـعام النـظر سـرعـان ما تـعود بـها العـين الخـبـيرة. إن هـدوء  
أبـيه عـن ذكـاء وعـن مـحاوـلة لـاخـفاء ما يـصنـعه خـارج البـيـت. أما هـدوء الابن  
فـعـن غـباء ولأنـه لا يـعرف إـلا أن يـكون هـادئاً. وحـلت الزـوجـة مـحل الأم ولم  
يـقم بـينـهما أى خـلاف. فـراوـية ذكـية تـعرف كـيف تـبدو إمام حـماتـها دائـماً  
طـيعة ذلـولاً لا تخـالف لـها أمراً أو تـرد لـها كـلمة فـمـلكت بذكائـها الأم والابن  
جـمـيعاً.

وهـكذا وقـع زـكـريا باشا فـى خـطأ لم يـنجـه مـنه ذكـاؤه المـتـوقـد. وبيـدا مـن  
أن يـكون ابـنـه جـديراً بأن يـحمل اسـمـه أصـبـح هـزوة لـكل هـازئ وأغـلب  
الأمر أن زـكـريا باشا أراد لابـنـه أن يـلهى زـوجـته عـنه فـيـسـتـطـيع هـو أن  
يـنـصـرف إـلى نـسائه ما شـاء لـه الاتـصـراف. فـإن زـوجـته تـعرف عـنه مـيله  
للنـساء، بل لـقد حـدث بـينـهما حـدث تـدافـعت أصـداؤه فـى مـصر جـمـيعاً يـوم  
أن دـعت زـوجـته سـيدات كـثـيـرات فـى لـيـلة شـاع فـيـها الأتـس والسـرور  
بـمـناسـبة عـودتـها مـن الأراضى الحـجازية بـعد أن حـجت بـيـت الله وزـارت  
قـبر نـبيـه.

## □ نفوشر هو ذهب ونحاس

وكان الباشا يوم ذاك فى البيت، ولكنه كان فى حجرته بعيدا عن مجتمع النسوة.

لم تكن نعيمة هانم تعرف أن صديقتها صالحة هى رفيقة الباشا فى هذه الأيام، فلم يكن عجيبا أن تدعوها، وكم كانت المفاجأة صعبة حين تفقدت صالحة فى أثناء الحفل فلم تجدها، فإذا خادماتها مبروكة تشير لها بأصبعها إلى أعلى وتصعد نعيمة هانم إلى حجرة الباشا فتجدها خالية، فتكمل صعودها إلى السطح لتجد صالحة فى أحضان زوجها، وإذا بها تصرخ صراخا يتعالى على صوت المغنية فى الطابق الأدنى، وإذا بها تخلع حذاءها وتنهال به على معالى الباشا وكان يومذاك وزيرا جديدا. وتصبح القصة حديث مصر جميعا، وتطلق صالحة من زوجها، وتنقطع صلة الباشا بها.

ولكن الباشا لا يستطيع العيش من غير أخرى، ويتعرف فى هذه الأيام على المستشار ممدوح بك عزت، وهو رجل اقترب من المعاش وذهب إلى معالى الوزير يرجوه أن يسعى له أن ينال رتبة الباشوية، وهو فى طريقه إلى مقاهى المعاش.

وممدوح بك عزت رجل تزوج، وهو كبير السن، سيدة مات عنها زوجها، هى السيدة نبوية الباجورى، وقد أنجبت لزوجها فتاة كان عمرها يوم ذهب والدها إلى وزير العدل يدور حول العشرين.

فى غمرة التقرب الذى يسعى به ممدوح بك إلى معالى الوزير دعاه إلى الغداء فى منزله. وهناك رأى الباشا لأول مرة بيت ممدوح بك، ورأى أيضا ابنة ممدوح بك. أما البيت فكسير متواضع يدل على أن سعادة المستشار شريف وفقر، وأما البنت فتدل على أن سعادة المستشار أحسن اختيار زوجته، وأن الله جعل الابنة تشبه الأجل فى والديها.

راقت سهر فى عين الباشا، ولكن هذه فتاة فى حضان أبيها فلا سبيل إليها أو على الأقل الطريق الذى تعود أن يسلكه لا يصلح معها.. مع هذه الفتاة ليس هناك إلا طريق واحد.

- سعادة الباشا ابتك سهر غاية فى الجمال.

## □ نفوش من ذهب و نكاس



## □ نفوشر من ذهب و فلأشر

- لا تنس يا معالى الباشا أن صدور الرتبة منك يوشك أن يكون براءة  
للباشوية، فانت الوزير المختص باقتراح الرتب للمستشارين.  
- سعادة الباشا أنا أعرف اختصاصاتى كل المعرفة.  
- إذن.

- أظن جلالة الملك لا يرضى أن يكون أبو زوجتى بك.  
- ماذا.. ماذا قلت معاليك؟

- أنا يا أخى أخطب ابنتك لنفسى.

- هذا شرف يا معالى الباشا.

- ولى شرط.

- أنا تحت أمر معاليك.

- أن يظل الزواج سرا حتى أجد الفرصة مناسبة لإعلانه.

وتم الزواج ونال ممدوح باشا رتبة الباشوية.

لم يكن عجيبا أن يقبل ممدوح بك أو باشا خطبة ابنته، فقد كانت  
المناصب والرتب ذات شأن أسطورى فى ذلك الزمان، ولكن العجيب أن  
شخصا فى ذكاء زكريا باشا يخطب فتاة تصغر ابنه بعشر سنوات، من  
المؤكد أنه ما كان ينصح أى انسان يفتصحه أن يفعل ما فعل، ولكن  
الانسان دائما يظن أنه شئ آخر غير الناس، وأن ما لا يجدر بغيره  
يجدر به. فزكريا مثلا كان يظن أن شبابه دائم، وأن الجاذبية التى يتمتع  
به تستطيع أن تعوض سهر عن فتوة العشرين، وأن اللقب والمكانة أهم  
بكثير من تقارب السن.

ولم يكن الأب يسأل ابنته فى شأن زواجها، ولهذا لم تحاول سهير أن  
تمتنع، فمادام أبوها قد اختار لها هذا فلا راد لارادته، ولكنها فى  
شبابها المتفتح كانت تعرف الطريق الذى فرشه لها أبوها برتبة الباشوية  
التي نالها.

وظل الزواج سرا.

شخص واحد كان الباشا يصحبه إلى بيت زوجته الجديدة هو راشد  
بك برهان. فقد عرف فيه الباشا قدرته الفائقة على سكب حياة كاملة فى

## □ نفوس من ذهب و نبال

لحظات متعة، وقد كانت السرية التي تحيط بالزواج تجعل الصلة بينه وبين زوجته يحيط بها جو المغامرات الذي كان يحيط بصلاته مع رفيقاته السابقات، وقد كان الزواج يحصن العلاقة اذا هي افتضحت من أن تلوك الألسنة اسمه كما لاكتها في حادثة الحذاء، وفي أحداث أخرى مشابهة.

أعجب راشد بزوجة الباشا وأعجبت به. رأت فيه الشخص الذي تستطيع معه أن تمارس شبابها، وتحس بجمالها الأسر مقدرا عند خبير نساء. وهو وإن كان يكبرها في السن إلا أن الفارق أقل من ذلك الفارق الذي يفصلها عن زوجها.

أحسست سهير في عيني راشد الإعجاب، وكانت تعلم أنه لن يقدم على مغازلتها على مرأى من زوجها، فالزوج لماح الذكاء، وراشد يعرف مقدار لمحيته وذكائه. إذن فلنقدم هي.

حين انتهت السهرة وحان الموعد لراشد أن يترك الزوجين، قام واستأذن، وصافح الباشا وصافح سهير، وإذا بشيء أدرك أنه ورقة تتكور في يده فيطبق عليها يده.

ويقرأ راشد على ضوء سيارته الداخلي.

«تعال غدا في الساعة السابعة. الباشا لن يأتي غدا».

ويضع الورقة في جيبه ولا يتولاه عجب كثير، فقد كان يعلم أنه اذا لم يقيم هو بدور العشيق لهذه الزجة الشابة، فسيقوم غيره، ولا بأس به أن يخون صديقه الذي أنتمنه على حريمه. فهو خير ألف مرة من غيره. فقد يكون هذا الغير محبا للظهور وقد يكون شابا فيه رعونة الشباب وزهوه، فيفتضح من أمر الباشا ما ينبغي أن يكن سرا.

فهو إذن يقوم بدور العشيق لزوجة صديقه حماية لعرض هذا الصديق أن تنتاشه السنة حداد، وفي ميدان السياسة يباح كل شيء.

ذهب إلى بيته في هذه الليلة، فاستقبله بدوى خادمه الجديد بعد أن أحال خادمه السابق على المعاش، فقد كان عم محمد بن كما كان يسميه قد بلغ من الكبر عتيا فطلب إليه أن يظل في البيت يشرف على المآكل

## □ نفوس من ذهب و نخل

والمشرب ويتراش الخدم دون أن يقوم بأى عمل، وطلب إليه أيضا أن يستقدم خادما له جديدا يقوم على خاصة شأنه ويتولى شأن ملابسه، فكان بدوى.

خلع راشد حلقه وألبسه بدوى الجلباب، واستلقى راشد على سريره.. لقد بدأت مغامرة جديدة. لم يكن إلى ذلك الحين قد رأى خديجة، بل أنه لم يرها إلا بعد ذلك بحوالى عامين استمرت فيهما علاقته بسهير، وطبعا لم يعرف الباشا شيئا، فكان كثيرا ما يقضى مع الزوجة وزوجها السهرات.

\* \* \*

اغتالت البورصة فهمى عبد الحميد صديق راشد اللصيق وجاره فى الأرض الزراعية، وشح المال فى يده، وأوشك أن يبيع عزيمته المجاورة لأرض راشد الواسعة، فاستدعاه راشد.

- كم تحتاج؟

- لماذا لا تشتري أنت العزبة؟

- هذا كلام فارغ.

- المبلغ كبير.

- ولكن البورصة لا تستمر على حال واحدة.

- وهى أيضا بلا قلب.

- اذا كانت خانتك اليوم وأعطت غيرك فليس بعيدا أن تخون غيرك فى

غد وتعطيك.

- اذا أعطتنى اشترى أرضا أخرى أو استرد منك الأرض.

- أنا لن أشتري.

- أبحث عن مشتر.

- وأنت لن تبيع.

- غير معقول أن تسلفنى مبلغا كبيرا كهذا.

- اذا لم أحتمل أضمنك فى البنك.

- أريد عشرة آلاف جنيه.



## □ نفوش من ذهب ونكاح

- عندي.
- أبيع العزبة أحسن.
- العزبة تساوي أكثر من هذا.. خذ.
- وأعطاه شيكا بالمبلغ، وكتب فهمي كمبيالة مستحقة الدفع عند الطلب
- وضعها راشد في حافظة نقوده.

\* \* \*

- في سهرة عند الباشا أو عند سهير أيهما شئت قال راشد:
- معالي الباشا عندي خبر لابد أن أقوله.
- وهل تحتاج إلى مقدمات؟
- ولعل سهير هانم يههما أن تعرفه أيضا.
- خيرا.
- ربما أصبح من العسير على أن أكثر من زيارة معاليك بعد ذلك.
- إذن فالخبر هام حقيقة.
- أنا أيضا سأزوج.
- وأريد وجه سهير هنيهة، ولكن سرعان ما استجمعت قوة الأنثى.
- ألف مبروك.
- وقال الباشا:
- نعرفها.
- يا معالي الباشا لو كنت تعرفها لما تزوجتها أنا أبدا.
- وقهقهة الباشا بصوت مرتفع، وتبسمت سهير، وقال راشد مستطردا:
- تعرف أباهما وإلى هنا والمسألة سليمة والحمد لله.
- من؟
- ابنة عثمان باشا فكرى.
- لقد اخترت.
- حقا يا باشا؟
- سمعت عنها كل خير.
- الحمد لله.. معاليك متأكد أنه سمع فقط.

## □ نفوس من ذهب ونحاس

- نعم.. نعم.. لا تخف.. وماذا تريدنا أن نقدم لك هدية لهذا الزواج؟
- معاليك خير من يختار.
- اننى اعد لك مفاجأة مند بضعة أشهر أظن أنها تصلح هدية لزواجك.
- هل لى أن أسأل؟
- الآن أستطيع أن أقول لك.
- عظيم.
- أنت تعرف صلتى برئيس الوزراء.
- نعم. ولو أنك رفضت أن تشترك فى الوزارة.
- الوزارة بالنسبة لى خسارة كبيرة، فهى تجعلنى أترك الشركات التى أعمل بها.
- ربما كنت على حق.
- اعتذرت عن عدم قبول الوزارة، ولكن تستطيع أن تعتبرنى مشتركا فيها. فرييس الوزراء يستشيرنى دائما، وقد طلبت أجرا لاستشاراتى هذه.
- طبعاً استشارة زكريا باشا لابد أن تكون مكافأتها كبيرة..
- لقد طلبت لك الباشوية.
- حقا.
- وأظن أن اسمك سيظهر فى انعامات العيد..
- لم يبق إلا أشهر قلائل، وتصبح راشد باشا برهان.
- اسمح لى أن أقبلك يامعالى الباشا.

\* \* \*

حين ذهب إلى بيته راح خادمه الجديد ادريس يخلع عنه ملابسه. فقد غضب عم محمدى على بدوى، واتهمه بأن يده طويلة وحرامى فطرده، وجاء بادريس بدلا منه، ولم يكن راشد بك يرد لعم محمدى أمرا يأمره فى البيت، فقد كبر على يديه، وهو يعتبر مربيا له..

لاحظ ادريس أن راشد بك سعيد حالم وان كان لم ينطق بحرف واحد. وبينما هو يخلع عنه بنطلونه اذا بعم محمدى:



## □ نفوس من ذهب ونحاس

- سعادة البك.
- وقال راشد فى نفسه بعد بضعة اشهر ستقول سعادة الباشا ياعم محمدين.
- نعم ياعم محمدين.
- فهمى بك تحت.
- الآن!
- لما رأى دهشتى قال انه يريدك فى شىء مهم.
- اللهم اجعله خيرا.. البستى يا بدوى. أسف أقصد يا ادريس وحين لبس قال لمحمدين:
- هات دفتر الشيكات من درج الدولار يا عم محمدين.
- ونزل راشد إلى حجرة مكتبه.
- خيرا يا فهمى.
- أين الكمبيالة؟
- يارجل.. أمن أجل هذا تاتى فى هذه الساعة؟
- ان الحديث الذى أريدك فيه لا تصلح له إلا هذه الساعة.
- هل رد الدين يحتاج إلى هذه الساعة؟
- انى سأرده نعم، ولكن ليس بالطريقة العادية.
- ماذا؟
- معى ورقة تحتاج إليها.
- وهل تريد أن تبيعها لى؟
- نحن نعمل فى البورصة. وأنت قلت أن البورصة لا قلب لها.
- ولكن نحن لنا قلوب.
- نحن أبناء البورصة.
- بل نحن أبناء الانسان.
- المهم ألا تريد أن ترى الورقة؟
- لا بأس.
- وأخرج فهمى الورقة وفتحها لحظة، ثم أقفلها وأعادها حيث كانت.

## □ نفوس من ذهب ونحاس

- ودارت الدنيا براشد. واستمر فهمي:
- انك على وشك الزواج. وفضيحة كهذه تقضى على زواجك.
  - هل هذا معقول؟
  - وقد عرفت أنا بتحرياتي أن الباشا تزوج سهير ممدوح. وطبعاً الورقة منها.
  - أيمكن هذا؟
  - تصور لو وقعت الورقة فى يد ابنه عدلى. لقد جن حين أخبرته أن أباه تزوج، وحاول أن يخبر أمه ولكنها فى مرض الموت ولا تعي شيئاً.
  - أهذا فهمي الذى يكلمنى؟
  - تصور أن عدلى ينوى رفع دعوى سفه على أبيه. فكر فى أثر هذه الورقة فى القضية.
  - فهمي.. المبلغ لا يهمنى وسأعطيك الكمبيالة ولكن كيف تصنع أنت هذا.
  - ألم أقل لك أن البورصة لا قلب لها.
  - ولكن أنا أيضاً ابن البورصة وأنا.. أنا.
  - أعرف ما تريد أن تذكره من شهامتك ولكن الناس معادن. أنت شهم وأنا نذل. أظن أن هذا يوفر عليك كثيراً من الكلام.
  - هات الورقة.
  - هات الكمبيالة.
  - لك حق.. فأنت تظن الناس جميعاً مثلك نتبادلها فى وقت واحد. وقمت المبادلة..
  - هل اطمأنتت الآن؟
  - كنت أستطيع أن أطلب ضعفى هذا المبلغ وكنت ستدفع.
  - الآن أعلم أنك أنت الذى ستدفع.. وستدفع أضعاف ما أخذت.
  - أتظن ذلك؟
  - سترى.

# □ نفوش من ذهب و نجلار



## □ نفوس من ذهب و فدا

وهكذا سافر راشد إلى أوروبا مع عروسه في ذهنه كثير يشغله. فقد ترك زوجة زكريا باشا نعيمة هانم بين موت وحياة، وابنه عدلى كاد يجن من خبر زواج أبيه، وهو لا يجد من أمه أذنا أو فهمًا لبيئتها هذا الخبر فتقضى على هذا الزواج قضاء مبرما. وهو وإن كان قد تجاوز الثلاثين إلا أنه غبى قاصر العقل هزيل التصرف، وليس ببعيد أن يرفع دعوى السفه على أبيه فجعله يحول بينه وبين معرفة هل هذه القضية وعدم جديتها. وكل ما يعرف عن أبيه أنه زوج أمه الذى يطيعها فى كل شىء، ولو كان على شىء مهما يكن هينا من الذكاء لعرف أن أباه لا يطيع أمه إلا فى تافه الأمور. فلو قد فكرت أن تتعرض لأرائه الفقهية أو السياسية لكان له معها شأن آخر.

وليس راشد بالذى يفكر هذا التفكير جمعيه فى شأن زكريا مجرد الاهتمام بأمره، وإنما خشى أن يشغله شأن ابنه هذا عن السعى إلى الباشاوية التى وعده بها.

وهو يخشى أيضا أن تؤلبه سهير عليه، فقد قطع علاقته بها تماما منذ ذلك اليوم الذى أعلنها فيه أنه سيتزوج. والسيدات إلى هذه الأمور



## □ نفوس من ذهب و نكاس

مداخل لا يلج منها سوى ذكائهن.  
ولكنه مع كل ذلك كان يفضل السفر. فهو لا يحب أن يظهر أحدا على اهتمامه برتبة الباشوية، ثم لا تأتي، وهو يفضل أن يعرفها الناس من المرسوم لا منه. وأن له أصدقاء خلصا وهو يخشى - وإن كان يعرف نفسه - أن تقلت منه كلمة تنبئ عما يدور بنفسه من آمال.  
وقد حرص راشد ألا يخبر زوجته بما ينتظر. فالرتبة عند السيدات لها مكانة خاصة، وهو يخشى ألا تأتي فتهتز مكانته في نفسها.  
لم يستطع شيء من هذا جميعه أن يحول بينه وبين أن يعيش الساعة في فرنسا ساعات مكثفة من البهجة يشيعها من نفسه إلى قلب زوجته وإلى قلب كل من يشاركهما في لياليهما أو في بياض نهارهما.  
فهو من أولئك القلة التي تعرف لكل لحظة حقها، فلا يعدو التفكير على المتعة ولا تعدو المتعة على العمل.  
وهو أيضا كان يعلم أن ليس في القاهرة شيء يستطيع أن يفعله. فالانتظار وحده ليس عملا.  
أما عن فهمي فإنه لم يبت ليلته التي زاره فيها ليعرض سفالته إلا وقد أعد له عدته. وعرف تفاصيل ما سيفعله بشأنه. ولم يكن الموعد الذي حدده قد جاء بعد.  
حين عاد راشد إلى القاهرة في أوائل سبتمبر كان الباشا قد أعلن زواجه من سهير، بعد أن ماتت نعيمة، وأصبح الباشا يخرج مع زوجته في كل مكان.  
وكان عدلى قد رفع دعوى السفه على أبيه فجعل من نفسه أضحوكة بين الناس. فإن كان لابد من دعوى ترفع فقد كان الأجدر أن يرفعها الأب العالم الذكى على ابنه الغبى الجاهل.  
وكان زكريا باشا كبيرا كشأنه. فاكتفى بإرسال أصغر محام فى مكتبه، وهو يعلم أن مهمة المحامى غاية فى السهولة واليسر. ولم يكن عجيبا ألا يفكر زكريا باشا فى حرمان ابنه من الميراث وما كان أيسر من هذا بالنسبة إليه، ولكن لعله بروح القاضى العادل، والفقيه القانونى، قد أدرك أنه هو الذى أهمل شأن ابنه، وجعل منه هذا السخيف الذى

## □ نفقوش من ذهب ونحاس

أصبحه، بما هيأت له أمه من مجالس فارغة مع نسوة جاهلات، وما هيأت له طاهى المنزل من ثقافة مطبخية.

ولم يشأ زكريا أن يعاقب ابنه على خطأ ارتكبه هو ونحوه، ويعتبر نفسه مسئولاً عنه.

وبقدر ما كانت أحاديث القاهرة تسخر من سخافة عدلى بقدر ما كان تكبر موقف أبيه وتعاليه عن الصغار، وعن أن يجعل نفسه فى كفة ميزان مع ابنه السخيف.

كان العيد قد اقترب، وذهب راشد إلى القرية، ومعه زوجته، وراح يوزع على الفلاحين الملابس والنقود مضاعفة هذا العام، مدعياً أنها من أجل زوجته، فانطلقت الأكسنة تدعوا لها وله بكل هناء وإن كان هو فى خبىء نفسه يدبر لأمر ويعد له بهذه المنح عدته.

ظهرت أسماء الذين أنعم عليهم برتبة الباشوية وانفجر الخبر فى البلدة حيث أحب راشد أن يكون. ففى الريف تصبح الأقراخ والأحزان أكثر جلاء ووضوحاً من المدينة.

فى الريف ينطلق الفرع فيصبح فى كل بيت. توشك تراه فى الشمس وفى القمر وفى الزرع وعلى وجوه الأنعام مع زغاريد النساء ورقص الرجال وقرع الطبول وهتاف المزمار.

وأعاد راشد المنح مرة أخرى بمناسبة الباشوية، وركب سيارته مع زوجته ليقيد اسمه فى دفتر التشريفات، ثم ليذهب بعد ذلك فوراً إلى زكريا باشا ليشعره أنه يعرف الفضل لأهله، وأخبره زكريا باشا بالأسماء التى ينبغى أن يمر بها ليقدم الشكر مثل رئيس الوزراء ورئيس الديوان وكبير الياوران وغيرهم.

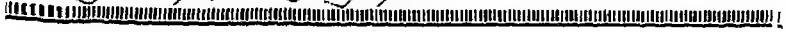
لم يمكث الباشا راشد فى القاهرة أكثر من يومين، ثم أخبر خديجة أن لديه عملاً فى القرية، وقد يضطر أن يغيب بها يومين. ولم تكن الزوجات إلى ذلك الحين يناقشن رغبات أزواجهن. وخديجة لها من ثقافتها ما يجعلها تعرف تماماً متى يجمل بها أن تسأل، ومتى ينبغى لها أن تتدخل. ففى تدرك أن أعمال زوجها ليست مجال أسئلة لها أو تدخل.. وهكذا أخذ حضرة صاحب السعادة راشد برهان باشا طريقه إلى قريته.



# □ نفوش من ذهب و نباله



## □ نفوش من ذهب و نبال



فى زيارته الأولى سال.

- متى نجمع القطن؟

- بعد بضعة أيام.

- والعزب التى تجاورنا.

- بعدنا.

- كلها؟

- كلها: نحن أول من زرعنا القطن فى الجهة.

- عظيم.. سأحضر معكم الجمع هذا العام.

- نزيد شرفا يا سعادة الباشا.

فى زيارته الثانية ركب راشد حصانه، وراح يمر بأرضه.

البلاشونى وكيل زراعته وبدأ وكأن راشد أخطأ الطريق،

حدود الأراضى المجاورة وسأل حمزة:

- كم فدان قطن هذه؟

- ثلاثمائة فدان.



## □ نفوش من ذهب ونداس

- ولم يعقب.
- وحين عاد إلى البيت قال لحمزة:
- أريد متولى الفراش.
- سعادتك تقصد متولى صاحب الفراشة.
- نعم.
- سعادتك تنوى أن تقيم لنا ليلة بمناسبة الباشوية؟
- ستكون ليلة وأنت بطلها.
- يا ليت ياسعادة الباشا لو كنت أعرف أغنى لغيت للصبح.
- ستغنى يا حمزة.. ستغنى للصبح. ولكن بأصوات أخرى.
- سعادتك تتوقع أن أفهم؟
- مؤقتا المطلوب ألا تفهم.
- وسأل متولى صاحب الفراشة.
- كم كلوب عندك؟
- أمرك ياسعادة الباشا.
- أريد ثلاثين.
- أمرك سعادة الباشا.
- خذ.. اشتر ما ينقصك.. وحين تنتهى الليلة خذها لك.
- رينا يطيل عمر سعادة الباشا.
- متى تكون مستعدا؟
- عندما تأمر.
- الليلة.
- أمرك.
- وقال لحمزة.
- أريد كل نظار العزب.

## □ نفوس من ذهب ونحاس

- أمر سعادة الباشا .
- بعد ساعة .
- أمرك .
- ومعهم الخولية .
- أمر سعادة الباشا .
- قال لهم راشد :
- أريد أطفالا وشبابا ونساء فى سن جمع القطن .
- وقال حمزة :
- كم تريد ؟
- لو كنت أريد عددا ضئيلا ما جمعت كل هؤلاء الرجال . أريد كل من يستطيعون أن تجمعوه . وأريد عربات نقل وجمالا وحميرا أيضا بقدر ما يستطيعون .
- ونظر الرجال بعضهم لبعض ، وقال أحدهم :
- القطن عندنا لا يستحق الجمع الآن .
- لا عليك يا حاج جودة . ستعرف كل شىء فى حينه .. أنا أعرف أن أحدا لم يفتح فى الجمع حتى الآن .. كم نفرا يستطيع أن يجيئنى به .
- أمرك . أستطيع أن أحضر أكثر من مائتين .. فالجميع الآن لا يصنعون شيئا .
- وهذا بالضبط ما قصدت إليه .
- وهو كذلك .
- وراح كل ناظر وكل خولى يدلى بعدد الأنفار التى يستطيع جمعها .
- واكتمل العدد . ألفا ومائتين . أدرك الباشا أنهم لن يتجاوزوا الألف وهذا ما أراد .
- متى يستطيعون أن تحضروهم ؟

## □ نفوس من ذهب و نبال

- إن أردت الآن.
- أنا فعلا أريدهم الآن.. ان انتظرونا إلى الغد فشل كل الترتيب الذى أصنعه.
- أمرك.
- متى تحضرون؟
- نظر الحاج جودة حوله لحظة ثم قال:
- صفار شمس ياسعادة الباشا.
- وأمنت الأصوات على الموعد.
- قبل أن تغرب الشمس كانت الأرض الواقعة أمام سراى راشد باشا برهان تغص بالناس.. منهم من جاء تلبية للطلب، ومنهم من جاء ليعرف السر وراء هذه الدعوة الغريبة للناس والأنعام جميعا. وفى نفس الوقت كان الباشا مجتمعا مع حمزة ونظار العزب فى حجرة مقفلة لم يسمح لغيرهم بدخولها. وسأل الباشا حمزة:
- هل خفر العزب معكم؟
- طبعاً.
- هل معهم أسلحتهم؟
- طبعاً.
- كم بندقية عندنا؟
- كان عندنا عشر بندق، اثنتان منهما الآن فى الإصلاح.. عندنا الآن ثمان.
- لا بأس. ما سأقوله الآن سينفذ دون أن يعرف أحد فى الخارج شيئاً إلا وأنتم فى المكان الذى أحده.
- أمرك.
- ستأخذون الأنفار جميعا إلى أرض فهمى عبدالحميد.

## □ نفوش من ذهب وفضة

ونظر الرجال بعضهم إلى بعض وأكمل الباشا :  
 - فى ساعة زمن سينزل الجميع الغيط، مع كل جماعة كلوب، وحول  
 الأرض الخفراء مع بنادقهم.. يهددون فقط. لا أريد عنفا، وقد تكتمت  
 الخبر، وأعتقد أن أحدا لن يأتى إليكم وفهمى عبد الحميد غير موجود.  
 وحين يأتى ستكونون قد جمعتهم القطن. الأكياس يا حمزة التى أتينا  
 بها لقطننا أنا اشتريتها لهذه العملية.  
 - أمرك ياسعادة الباشا.

- تخرجون وتأخذون الأنفار دون أن تقولوا إلى أين حتى يجدوا  
 أنفسهم أمام القطن يا حمزة. هذا أجر مضاعف للأنفار، وكافىء كل  
 من يبدى همة.

الناس فى القرى لا يسمحون لفرصة كهذه أن تمر دون أن يعرفوا  
 أعماق الأسرار التى تقف وراءها انهم واثقون أن هذا المشهد الذى  
 يرون سيصبح تاريخا يتحاكون به ويجعلون منه على الأيام بصمة  
 كعام الفيل الذى خلده التاريخ. فكل حدث ضخم فى القرية عام فيل.  
 وتراهم يقولون فى سليقة مواتية وكان هذا قبل حكاية الباشا وفهمى  
 عبد الحميد بأسبوع أو بعدها بشهر. وهكذا ستصبح علامة زمنية  
 يرونها أب إلى ابنه وابن إلى حفيده.

فهيئات هيئات أن يتركوا الجموع تذهب ولا يقصوا أثرها ويتبعوها  
 إلى حيث تذهب، وإن كانت جهنم هى المقصد والمتجه.

وهكذا تجمع مئات آخرون حول الجمعية الذين أنافوا على الألف،  
 وساروا يتبعهم كل من رآهم حتى اذا بلغوا أرض فهمى وقف حمزة  
 وألقى أوامره فى حسم وفى اختصار، وتفرقت الأضواء، وأحاط  
 الخفراء بالأرض وتسلم كل نفر خطأ وبدأ جمع القطن. ووقف  
 المتفرجون لحظات وقد عقدت الدهشة ألسنتهم، ولكنهم ما لبثوا أن

## □ نفوش مر ذهب و نكاس



## □ نفوس من ذهب وفضة

تبينوا مقدار الجرأة والابتكار في هذا الذي يحدث، وهم مطمئنون أن سندهم الباشا. فما لهم لا يشاركون فيما أخذ فيه الجمعية، وتصبح روايتهم بعد ذلك مؤيدة بأنهم جمعوا مع من جمع وتمكنوا أن يجمعوا ثلاثمائة فدان بدأوا فيها بعد أذان المغرب وانتهوا منها وصلاة العشاء مازالت حاضرة.

حتى السرقة في القرى توقفت بأوقات الصلاة. وهكذا نستطيع أن نقول أنه حين وجبت صلاة الفجر كان قطن فهمى عبد الحميد في مخازن راشد باشا برهان مستقرا وكأنه فيها منذ أيام طويلة.

\* \* \*

أصبحت هذه القصة أحداث المديرية كلها يتناقلونها بشيء كثير من الدهشة. فراشد حسن السمعة لم يمد يده في حياته إلى ما ليس له، وفهمى عبد الحميد ليس فوق مستوى الشبهات، وهكذا سرعان ما ابتدعت الاشاعات قصة عن السبب وصدقها الناس.

فالناس لا يحكمون على أحد من حادثة واحدة، وإنما هم ينظرون في ماضيه جميعا، ويقارنون ويقدمون الحيثيات ثم يصدرون الحكم. لقد أكل فهمى عبد الحميد على راشد مبلغا من المال وأبى أن يرده إليه. فلم يجد راشد أمامه سبيلا إلى هذا. فهو لا يحب أن يستلب أحد أمواله مادام هو لا يحب أن يستلب أموال أحد.

وهكذا أصبح فهمى عبد الحميد المجنى عليه ظالما لا مظلوما ولا اشفاق عليه. فهو الذي صنع اسمه هذا، وسيرته تلك بين الناس. فليس عجيبا أن يكون هذا هو حكم الناس عليه. وأن من يقدم على ما أقدم عليه نحو شخص أكرمه وأقال عثرته وحفظ عليه ماله وأرضه، ليس غريبا عليه أن يكون اسمه بين الناس غير كريم. فهذا الاسم يتكون عند الناس من أشياء صغيرة غاية في الصغر. يأتيها ذو النفس اللثيمة من غير قصد ويستقبلها الناس في كثير من الأحيان



## □ نفوشر من ذهب و فبالس

بنوع من النفور قد لا يعرفون سببه. وليس غريبا أن تسمع من الناس عن فلان منهم أنهم لا يرتاحون إليه، وربما عجزوا عن ابداء الأسباب إن سألتهم أسبابا. فهمى عبد الحميد هو هذا الفلان من الناس عند الناس.

عرف أهل المديرية مما تواتر عن هذه الحادثة أن راشد فى القرية، فقوافدوا إليه من كل البلاد يهنئونه بالباشوية، ويسخرون من فهمى عبد الحميد، وربما حاول أصدقاؤه المقربون أن يعرفوا منه ما دعاه إلى ما فعل، ولكنه كان يقول فى حسم: - وهو يعرف وهذا يكفى.

وقصد إلى بيت راشد باشا مدير المديرية والمأمور والحكمдар. وقال الباشا المدير:

- جاعتنا شكوى من فهمى عبد الحميد.

وقال راشد فى نوع من التجاهل:

- خيرا.

- لا تحاول معنا تجاهلا.. فقد حققنا الشكوى.

- مم يشكو؟

- المهم أن كل رجاله رفضوا أن يشهدوا ضد أى أحد من رجالك فأشجع من فيهم الذى قال ناس لا نعرفهم.. وأغلبهم قال ليسوا من الناحية، ولا من الجهة.

- ما زلت لا أعرف عم تتحدث ياسعادة الباشا.

- والله وأنا الآخر لا أعرف عم أتحدث.. اطلب لنا القهوة يا سعادة الباشا.

- إنها عادة تأتى دون أن أطلبها ياسعادة الباشا. شرفت.. شرفت ياسعادة الحكمدار وأنت سعادة البك المأمور.

## □ نفووس من ذهب ونحاس

- انتهزنا الفرصة لنهى سعادتك بالباشاوية.  
- أكرمك الله ياسعادة الحكمدار.. إن شاء الله نهنتك بها قريبا.  
والتفت إلى الباشا المدير:  
- سعادة الباشا يحب النارجيلة.  
- وقد أحضرتها معى فى السيارة.. أتأمر باحضارها.  
- لا ياسعادة الباشا. فى هذه المرة ستشرب فى نارجيلة أخرى،  
ومعها دخان استقدمته لسعادتك خصيصا من تركيا..  
وصفق راشد باشا وأصدر أوامره، وما لبثت أن جاءت شيشة ذات  
مبسم من المرجان وقد أحكم عليها دخان واضح الفخامة. وما هى إلا  
أن جذب منها الباشا المدير جذبة فإذا هو يقول:  
- سعادة الباشا ليس فى مصر رجل مثلك يعرف كيف يحيى الناس  
فى أناقة وترفع.

ويضحك الجميع.

لقد كانت ملاحظة المدير غاية فى الصدق.. فمن يستطيع أن يقول  
أن مديرا عظيما يرشى بنارجيلة، إنما هى هدية من ناحية الثمن لا  
تساوى شيئا، ثم هو يقدمها إليه على الملأ. والرشاوى لا تقدم على  
الملأ.. إنما هى هدية بين صديقين ولا تحمل أى تأويل آخر.. ثم هى  
هدية تحمل فى طواياها أن مقدمها يهتم بمن سيقدمها إليه ويبحث  
عما يسره من الهدايا ويقدمها إليه.

ذكى سعادة الباشا الجديد.. ذكى لاشك فى ذلك.

\* \* \*

# □ نفوش من ذهب و نكاس



## □ نفوس من ذهب ونبلس

شهيرة سيدة عجيبة.. انها ابنة عم خديجة وأبوها وجدى باشا عزت. وقد تظن انى أخط الأنساب فجعلت أخا عثمان باشا فكرى اسمه وجدى باشا عزت، ولو انك سألت واحدا من أبناء هذا الجيل لعلمت أن المدارس فى ذلك العهد العهيد من الزمن كانت تسمى تلاميذها بأسماء تركية غير تلك التى يردون بها إلى المدرسة، ولم تكن هناك شهادات ميلاد فى ذلك الحين.

فوجدى باشا عزت اذن هو أخو عثمان باشا فكرى كما شاءت المدرسة أن تسميه. وان كان عثمان باشا فكرى قد نال الباشوية عن طريق غنى سابق تبدد، فأصبح أقرب إلى الفقر، فإن وجدى باشا عزت نال الباشوية عن طريق السياسة. فقد كان عضوا بالتجمعات البرلمانية التى كانت تسمى المجلس التشريعى أو مجلس شورى القوانين. ولم تمهله الحياة أن يرى مجلسى البرلمان اللذين نبنا عن دستور عام ١٩٢٣ وكانا يسميان مجلس النواب ومجلس الشيوخ.

## □ نفوس من ذهب وفضة

ولكن وجدى باشا ترك مع ذلك سيرة طيبة، وترك أيضا بقية من مال تجعل ابتغته شهيرة تسلك بشيء من الصعوبة والعسر مع طبقة الأغنياء، إلا أنها كانت تعيش عيشة سمحة لا عنت فيها ولا ارهاق.

وكانت شهيرة تستطيع أن تستغنى باسم أبيها وبما تركه من مال عن تعلقها بأصحاب الألقاب وأصحاب الشهرة. فهي مثلا لم تزر خديجة إلا زيارات نادرة تستقر بها واجبات القرابة. فلم يكن راشد ذا شهرة في المحيط الذى تحيا فيه شهيرة. وابنة عمها لا تمثل عندها إلا أنها ابن باشا، وباشا غير ذى شهرة، بل وغير ذى مال أيضا.

وهكذا لم تجد شهيرة داعيا أن تزورها. حتى اذا نال راشد الباشاوية أصبحت شهيرة لا تترك بيت خديجة، بل أصبحت لا تخفى عنها سرا من أسرارها.

كانت شهيرة تجد متعة في نطق كلمة باشا، وتحس لها مذاقا في فمها، وموسيقى في أذنها، وتكاد تشم لها رائحة فواحة العبير في خياشيم أنفها. ونفس هذا الشعور من النشوة كان يلغها اذا ذكرت اسما من أسماء المشاهير في أى متجه تحققت له الشهرة فيه. وانى لأعجب لها، ولاشك انك ستعجب معى أن النساء الشهيرات في عالم الليل وفى غير ما يشرف المرأة أن تشتهر به كن يثرن فى نفسها نوعا من التوفز حتى اذا تعرف بواحدة منهن اتخذت منها صديقة مقربة توشك لا تفلت يوما لا تزورها فيه أو تتصل بها.

رحبت خديجة بصداقة ابنة عمها الجديدة. والحقيقة أن شهيرة أنيسة الجلسة طيبة الحديث، يمر معها الوقت لا تكاد جليستها تحس به. وقد سعدت شهيرة أن توثق صلتها بجلفدان هانم والدة راشد باشا، وقد كان الجميع يناديها هانم أفندى. كما سمعت ابنها يناديها فى أول هذا الحديث الذى أسوقه إليك.

## □ نفوش من ذهب ونحاس

فكلمة هانم أفندى ذات رنين عند شهيرة، بل انها تجد فى نطقها انها تختلف عن الأخرى اللواتى لا يعرفن سيدة يقطن لها هانم أفندى. ولا يهمها أن سبب هذه التسمية أت من أن السيدة جلفدان كانت ابنة لأحدى حريم السلطان عبد الحميد، وزوجها لواحد من أتباعه، وقد خطبها زوجها والد راشد من تركيا وشفع له غناه فنسى أصهاره أو أرادوا أن ينسوا أنه ليس إلا فلاحا لا يرقى إلى سماواتهم.

ليس شىء من هذا يقع موقع الأهمية عند شهيرة. المهم أن تقول هانم أفندى. والمهم أن هانم أفندى أحببتها وتجمع الجلسة ثلاثتهن.  
- ألا ترين طريقة لقريبك هذه شهيرة هانم؟

- ما لها هانم أفندى؟

- لا تريد أن تأتى لنا بمولود؟

وكانت خديجة تحب حماتها حبا طاغيا. فهى قد تركت لها شئون المنزل تصنع فيه ما تشاء، وقد قدرت لها خديجة هذا، فجعلت اشارتها أمرا. فهى تنفذ لها أوامرها قبل أن تنفذها لزوجها. ولهذا لم تكن أحاديث حماتها عن الانجاب تثير فى نفسها شيئا ما يغضب له النساء عادة اذا طالعتهن الحموات بمثله. وعلى كل حال فقد كان لها مع حماتها فى يومها ذاك شأن آخر.

- وهل بيدى هانم أفندى؟

- كل شىء بأمر الله هانم أفندى.

- ولكن يا بنتى يا شهيرة إنها لا تريد أن تسمع كلاما فى هذا الشأن.. علينا أن نحاول..

- نعم فى هذا أنت محقة هانم أفندى.. ماذا جرى لك يا خديجة.. لابد أن نحاول.. أعرف داية..

## □ نفوش من ذهب ونحاس

- اسكتى يا شهيرة.
- ألا تريدن حتى أن تسمعى؟
- هانم أفندى.. انى حامل.. وأنا أخبرك الآن قبل أن أخبر الباشا.
- وسقط الصمت على الحديث المتحمس، وارتسمت ابتسامة على فم خديجة، واندلعت دهشة وفرحة فى عينى جلفدان وانعقد لسان شهيرة.. لحظات.. بدت بطيئة ولكنها لحظات، ثم انتفضت هانم أفندى إلى دولا ب نقودها وقبضت منه قبضة وصاحت:
- يا بنات.. يا فهيمة يا سنية يا حبيبة..
- وتقاطرت الخادومات إلى السيدة الكبيرة.
- خذن.. خذى أنت وأنت وأنت.. زغردن زغردن جميعا.. افتحن الشبايبك.. افتحن الشبايبك. أنا أمر بهذا.. افتحن الشبايبك وزغردن ولا تتوقف منكن الزغاريد حتى يأتى الباشا ويسمعها منكن.
- وأخذ الضحك السعيد بمجامع خديجة، وأحست شهيرة لأول مرة أنها لا تجد شيئا تقوله أو تفعله.
- وخرجت جلفدان هانم من الحجرة، وراحت تصدر الأوامر أن يبلوا الشرابات وطلبت محمدين، وأمرته أن يفرق عيشا ولحما عند مقام السيدة زينب وسيدنا الحسين.
- وقالت شهيرة لخديجة فى اهتمام:
- جاءنى عريس.
- من؟
- سامى حسنين.
- ابن خالتك. متى جاء من أوروبا؟
- منذ شهر.
- أخذ الشهادة؟

## □ نفوس من ذهب وناس

- فى الهندسة.
- وأنت ما رأيك؟
- تريد الحق؟
- أريد الحق.
- هو بلا شخصية.
- بالنسبة لك ليس هذا عيبا.
- ماذا تعنين؟
- أنت لا تحبين أن يكون هناك رأى بجانب رأيك.
- وهو أيضا فقير.
- وهذا أيضا أحسن لك.
- أعوذ بالله منك.
- أنت غنية وغناك وفقره سيجعل كلمتك دائما هى النافذة.
- دمه ثقيل.
- يخف.
- يعنى.
- توكل على الله.
- وارتفعت الزغاريد فعرفت أنها تستقبل الباشا بالبشرى.



# □ نفوش من ذهب و نكاس



## □ نفوش من ذهب و نبال

انصبت أخبار القطن على فهمى عبدالحميد ترادفها الدهشة والعجب. ولعل بعض الندم ألم به. وسأله الناس فتظاهر بأنه مظلوم وإن لم يبد سببا. خشى أن يختلق سببا فيحل به عقاب آخر، وخشى أن يقول الصدق فيحتقره الناس. لقد أدرك أن راشد قد اصطنع ما ليس من خلقه ليرد عليه تصرفه. لقد انتهب هو أموال راشد، آمنا إلى أن راشد لن يتخذ نفس الطريق ليسترد أمواله.

لم يستطع فهمى عبدالحميد أن يذهب إلى راشد بعد الحادث بفترة قصيرة، وإنما أثر أن يترك الأيام تنسى الناس ما حدث، وأثر أن يشعر راشد أنه انتقم فيلاينه فى الحديث. حتى اذا مر من الوقت ما أراد فهمى أن يمر، ذهب إلى راشد فى بيته فى مصر. فقد حرص ألا يرى رجال راشد ورجاله ذله وانكساره، خاصة بعد أن عرف ما كان من زيارة المدير ورجال الادارة لبيت راشد بالبلدة. وفى القاهرة.

- لم أتوقع هذا.

- لانى عشت عمرى كله أكرمك وأكرم جوارك.

## □ نفوس من ذهب ونفوس

- فلماذا لم تكرم خطئي؟
- أنا لا أستطيع أن أكرم سفالتك. لا أكرام عندى للسفالة.
- كلنا فى الهوى سوا يا سعادة الباشا.
- كذبت.
- حين تستحل صلة غير شريفة بصديق قريب لك تسمى هذا خلقا.
- أنا غير مستعد أن أدافع عن نفسى أمامك.
- ولقد حميتك أن تدافع عن نفسك أمام زكريا باشا.
- لو كنت أعطيتنى الورقة دون استغلالها لجاز لك أن تقول هذا.
- وما البأس أن أستغلها وأنا فى فقرى هذا.
- لقد وقفت إلى جانبك فى فقرك. وأنا لم أطلبك.
- فرصة لاحت لى.
- فرصة قدرة.
- ألا يجوز لى وأنا ابن البورصة أن أستغل ضربة حظ؟
- لقد صنعت أنت هذه الضربة واشتريتها من خادم لى.
- كيف عرفت؟
- الأمر لا يحتاج إلى ذكاء. ولو كنت ذكيا حقا لقدرت ذكاء الآخرين.
- كل منا له أن يبحث عن صالحه أينما وجد.
- ولكن يجب علينا أن نكون على شىء من الخلق.
- يا سعادة الباشا إننا نلعب على مائدة واحدة.
- ربما أكون قد أخطأت، ولكننى أعرف اننى كنت مخطئا وقد تبت..
- اننى منذ تزوجت لم أخن زوجتى.
- ولا خنت صديقا لك؟
- رددت خيانة أحدهم ولم أخنه.
- يا سعادة الباشا. لقد خنتك فى مالك، وخنت أنت صديقك فى

## □ نفوس من ذهب و نكاس

- عرضه. فلا أعتقد أنك الشخص المناسب للحديث عن الشرف.
- أنت خنتني فى مالى وفى اكرامى لك.
- لم تذهب بعيداً عما ذهبت إليه.
- أما أنا فقد ثبت.
- الله وحده يعلم ما فى القلوب.
- ولكننا نحن البشر نعرف الظاهر من الأعمال.
- ظاهراً الأعمال انك استوليت على قطنى بغير حق.
- اليس لى حق عندك؟
- أمام القانون لا حق لك.
- لو كان القانون يعطينى حقى ما لجأت إلى تحطيمه.
- وترى هذا عملاً شريفاً؟
- ألم تقترح أنت ألا نتكلم عن الشرف؟
- هذا حقك.. وماذا تنوى أن تفعل؟
- أما أنا فقد فعلت.
- يخيّل إلى أن عمك لم ينته.
- لن أسمح لك بزراعة أرضك حتى استرد مالى الذى عندك.
- اكتب لك كمبيالة جديدة.
- معنى الكمبيالة اننى أقبل تسليفك وأنا لا أقبل.. فى هذه المرة لا بد أن أسترده أموالى نقوداً مثل التى أعطيتها لك.
- ولكن.. ولكن هذا مستحيل.
- ولماذا.. لقد غطيت خسارتك بالمبلغ الذى أعطيته لك، ثم كسبت من أسهم الشركة الخديوية مبلغ عشرين ألف جنيه، وكسبت صفقة اتحاد البنوك ثلاثين ألف جنيه.. لو لم أكن أعرف انك تستطيع رد أموالى لبحثت عن طريقة أخرى لاستردادها.

# □ نفوس من ذهب و نلاس



## □ انقوش من ذهب و نكاح

- تعرف عني كل شيء.
- لقد قلت الآن أننا نلعب على مائدة واحدة.
- نخصم ثمن القطن وأعطيك الباقي لك.
- أي قطن؟
- راشد بك.
- باشا اذا سمحت.
- راشد باشا. أتنوي..
- لقد نويت.
- وهل هذا معقول؟
- وهل ما فعلته معقول؟
- إن لي أولادا.. هذا حرام عليك..؟
- وهل لابد أن يكون لي أولاد حتى أنال حقى، وعلى كل حال ياسيد اطمئن. فإن ابني فى الطريق.
- فمن أجل خاطره اذن ياسعادة الباشا ارحمنى.. أعرف انك قادر، ولكننى أعرف أيضا انك تعفو اذا قدرت.
- بشرط واحد.
- لقد أحضرت معى المبلغ.
- اسمع يافهمى. سأقبل المبلغ الذى أحضرته على أن ننسى كل شيء حدث بيننا فى هذه الفترة.
- هذا شرط أبحث أنا عن تحقيقه اذا رفضت أنت.
- وهو كذلك.. هات المبلغ.
- شكرا ياسعادة الباشا.. ألف شكر.

# □ نفوس من ذهب و نیکاس



## □ نفوس من ذهب ونفاس

جاء المولود الأول لراشد باشا، وقد حلاله أن يسميه اسما عربيا عريقا، فسماه أسامة، وحاولت هانم أفندي أن تعترض لتخلد اسم أبيها نيازي، ولكنها وجدت من ابنها اصرارا، وقد صاحب مجيء أسامة فرح كبير في الأسرة استبشرت خديجة واستبشرت به هانم أفندي، ولم يجد راشد باشا بأسا أن يستبشر به أيضا. فقد تحدد يوم زواج شهيرة من ابن خالتها سامى حسنين. وكان اليوم محددا بعد ميلاد أسامة بعشرة أيام، وقد تصادف أن تم تحديد الموعد والميلاد في يوم واحد.

وفي المساء، وبعد أن استطاعت خديجة أن تسمر مع المهنئين، وهي في سرير ولادتها قالت شهيرة:

- والله لا أتزوج حتى تستطيعي أنت حضور فرحي.

- هل جنت يا شهيرة؟

- أكون مجنونة لو فعلت غير هذا.





## □ نفوس من ذهب وفداء

وهكذا تجدد تحديد الموعد على يد الطبيب الذى أشرف على ميلاد أسامة. فالأطباء فى ذلك الحين كانوا يشرفون على الولادة ولا يقومون بها. فإنه لا ينبغى للسيدات أن يلدن بمشهد من رجل حتى ولو كان طبيباً. فكان الطبيب يحضر الولادة جالساً مع الرجال، وكانت الداية التى يرشحها الطبيب هى التى تقوم بعملية الولادة نفسها. فإذا حدث خلل يستدعى تدخل الطبيب فإنه حينئذ يتولى بنفسه العمل مباشرة. فقد كان ذلك الجيل لا يؤمن بأن الوقاية خير من العلاج مادامت هذه الوقاية ستحطم عرفاً عريقاً كان كشف الحريم على الزوج. وقد كان راشد جديراً أن يحطم هذا العرف لولا أن الطبيب طمأنه أن الولادة ستكون طبيعية، وأنه لا يوجد ما تخشى عواقبه.

لم يكن راشد من هؤلاء الذين يحبون أن يحطموا التقاليد بمجرد تحطيمها، وإنما كان يحطمها إذا تعارضت مع منطق الأمور ومعقوليتها، وأن قضاء شهر العسل فى أوروبا والطريقة التى أظهر بها زوجته على باريس لتدل على أنه لا ينتمى لهذا الجيل الذى يسلكه فيه زمانه ومولده وأسرته.

ولعل من العجيب أن راشد كان بهذا التحضر العقلى فى خاصة شأنه، وأن يحافظ فى نفس الوقت على العرف والتقاليد محافظة صماء إذا لم تكن تتعارض مع رغباته وأهوائه ومزاجه الخاص.

فصلاته النسائية فى مصر قبل الزواج مستورة لا يعرف عنها أحد شيئاً، ولولا خطأ نسيان لما أتيح لفهمى ما أتيح له من الحصول على هذه الورقة.

أما صلاته النسائية فى باريس فقد كانت صاخبة عديدة يستره فى علانيتها أن أحداً لا يعرفه هناك.



## لأنفوش من ذهب وفضة

كان راشد شخصين متناقضين، وهما مع ذلك متوائمان في نفسه، متفاهمان لا يعارض واحد منهما الآخر، ولا يعترض أحدهما على ما يأتيه الثاني كتوأمين اختلفت أخلاق كل منهما عن الآخر، وتألفهما في الوقت نفسه الحب العميق والاعجاب.. كان كل من الراشدين في نفس راشد يعجب براشد الآخر ويحبه ويشيد في همسه به. ولولا خشية أن يقال نرجسى يحب نفسه لأعلن عن حب الراشدين أحدهما للآخر المكتم في نفسه التي تبدو أمام الناس راشدا واحدا. بل لقد كان هذا الحب المكتوم هو في ذاته صانع الشخصيتين وسر حياتهما معا.

كان راشد العرييد يعجب براشد الجامد الصلب المحافظ على التقاليد المعتنى بملبسه عناية تقليدية. فلا ينسى أن يمسك العصا وأن تكون الياقة منشأة انقلب طرفاها إلى أعلى وتوسطها رباط عنق أنيق يتوسطه هو الآخر دبوس ماسى عريق.

ويعجب راشد العرييد براشد في المحافل العامة، رافضا اختلاط الرجال بالنساء، ورافضا عمل المرأة إلا أن تكون خادما بالمنازل، ورافضا كل ما تريد الحضارة أن تدخل به إلى العصر.

ويعجب راشد العرييد براشد مقيم الصلاة في مواقيتها، وذاهبا إلى المسجد من يوم الجمعة حتى إذا كان في القرية سبقتة السجادة ليصلى عليها. وإذا عرف في القرية أن شابا من شبابها يغازل امرأة أو يحاول أن يعتدى عليها، استقدمه وانهاه عليه ضربا، حفاظا على الشرف، وردعا لكل من يحاول أن يحطم تقاليد الدين، وعرف الآباء والأجداد.

ويعجب راشد العرييد براشد فاتح بيته في القاهرة والريف كل ليالي رمضان ومشاهير المشايخ يتبادلون قراءة القرآن، ويؤم البيتين

## □ نفوس من ذهب و نبال

الناس يباركون هذا العرف العظيم الذى يصر راشد أن يحافظ عليه.  
أما راشد، هذا التقليدى، فهو يعجب براشد العرييد فى كل ما يأتیه  
راشد العرييد، سواء كان ما أتاه تاريخا لا يعود، أو واقعا يعيش فيه.  
وسواء كان ذلك فى باريس مفضوحا هناك محبا لاعلان العريدة،  
حيث لا يعرف أحد من ذلك العرييد، أم فى القاهرة يأتى من يأتیه من  
النساء فى محافظة على التقاليد وفى عريدة صامته وقور لا تتفاضح  
ولا تعالن وإنما تستمتع فى داخلها فتحتوى المتعة جميعا غير ذائعة  
ولا بادية. ولكل من الصخب والصمت والعريه والوقار متعته فى نفس  
راشد.

ولكن راشد حين جاء أسامة أحس أن راشدا ثالثا وقد على  
الراشدين، وأحس أن هذا الثالث لن يجعل الأمور تجرى فيما تعودت  
أن تجرى فيه.

كان راشد براشديه يحسن أنه حر وأن لديه من المال ما يكفيه  
لارضاء نفسه فيرضى بها الراشدين جميعا.

كان المال عنده وسيلة يحقق بها ماتصبو إليه نفسه، سواء كان هذا  
الذى تصبو إليه مراحا ومتعة، أم كان تعاظما ووقارا. فملبسه دائما  
أفخم ملابس، وأثاث منزله أعظم أثاث، وسيارته أحدث طراز.

والمال متعة لا مثيل لها مادام عند صاحبه وسيلة لغاية.  
والمال نقمة لا تماثلها نقمة إن أصبح هو فى ذاته غاية لا وسيلة،  
وهدف لا طريقا، وأملا لا سبيل لأمل.

أى شيطان ركبه فجعله يظن أنه ينبغى له أن يترك لابنه مالا أكثر  
مما يملك.

لقد أحس فجأة انه لابد له أن يضاعف الثروة التى ورثها، حتى



## □ نفوس من ذهب ونداس

يرضى ابنه هذا الذى مازال فى سنوات الرضا ع.  
أصبح أحس بهذا أم تراه هيا لنفسه أن يحس هذا الاحساس؟  
هل يقلب الأبناء آباءهم رأسا على عقب؟  
أيمكن لهذا الطفل الذى يلوح طيفا قادمًا على المستقبل لم تكتمل  
معالم وجهه أو جسمه.. مشروع الانسان هذا يستطيع أن يقلب  
شخصا فى جبروت راشد، وفى اكتمال عناصره من شخص يريد  
المال ليستمتع به إلى شخص يريد المال للمال؟ أنا لا أصدق. أغلب  
الظن أنها رغبة خفية فى نفسه تبحث لها عن باب يبدو مشروعا  
لتنقلب حقيقة، ولتجعل من صاحبها الذى عاش سيدا للمال إلى عبيد  
المال. فالذى يريد المال ليعيش به يظل سيدا لماله ولزمنه، فإذا أصبح  
المال فى ذاته هو الغاية لذاته لا لما يحققه لصاحبه من عيش رغيد،  
ينقلب المال حينئذ سيدا شرها قاسيا جبارا متسلطا بلا رحمة. ومن  
أين الرحمة وهو جماد بلا عاطفة، ومن أين وهو أكبر أعداء  
العاطفة، وباسمه هذا المادى تسمت كل المذاهب البعيدة عن روحانية  
البشر وعن انسانية الانسان. إنه يمثل الجانب الصلب الحاد البشع  
فى البشرية جميعا..

أكان راشد فى بخيلة نفسه يريد الغنى للغنى، ولیمتع نفسه بمتعته  
الظاهرة والخافية حتى اذا جاء أسامة بدا ما كان يخفيه.  
من يستطيع أن يقول؟ علماء النفس هؤلاء أبعد الناس عن معرفة  
النفس، وشر ما تخادع النفس نفس صاحبها.. تلهو به، وتعميه عن  
حقائقه، وتجليه عن مواقعه من الحياة، ويظن بذاته غير حقيقة ذاته،  
ويمضى إلى مسالك من الحياة لا تطيقها نفسه ولم تهينه لها، فهو ما  
عاش متخبط، وإن ظن بنفسه العلم والثبات، فإن صادفه شىء من

# □ نفوس من ذهب و نلاس



## «نفوس» من ذهب ونحاس

النجاح ظن أنه عرف الطريق وهيئات هيئات أن يعرف. فإن كان ذلك الفيلسوف قد طلب إلى الانسان أن يعرف نفسه فى كلمتين «اعرف نفسك» كأنهما بديهية من البديهيات، فقد كان يدرى أو لعله لم يكن يدرى أنه بهاتين الكلمتين قد طلب إلى الانسان أصعب ما تطلبه الحياة من الانسان.

مسكين أسامة، اتخذه أبوه سبباً، وما كان سبباً، وجعل من مجيئه مستدار حياة وما يدرى أسامة، ولو يدرى لجثا على ركبتيه لأبيه يرجوه أن يظل كما عاش حياته، سيد المال لا عبد المال.

إذا أصبح المال هو الهدف انعدام الهدف. فالأرقام لا تعرف نهاية، ومادمت لا تعرف لهدفك نهاية، فأنت ومن لا هدف له سواء، وويل للانسان انعدم من حياته الهدف. بل لعل الذى يحياها مصادفة يترك لأيامها أعنة قيادة ومتجه أحلامه ومسار آماله أعظم سعادة من انسان جعل جمع المال هو الهدف، وهو الحياة. فإن هذا الانسان المسكين جهل أو أراد أن يجهل أن الهدف قد انعدم من حياته، وإن كان قد وضعه أمامه، فالمال المال والسعار السعار والحياة اذن جحيم لا ينتهى إلى نعيم، ونيران لا برد لها ولا سلام. والانسان يومئذ يجهل الرقم الذى يريد أن يقف عنده فإن قدره وبلغه اغراه المال بما يعده، وتتهار حياة الانسان تحت نعال المال ويصبح السيد عبداً وباختياره.



# □ نفوش مر ذهب و نباله



## □ نفوس من ذهب ونحاس

خسر عدلى القضية ضد أبيه، وربما كان يعلم أنه سيخسرهما على أية حال فإن كان عقله قد حال دون هذه المعرفة فالذى لاشك فيه أن راوية زوجته كانت تعرف ذلك، وإنما حلالها أن يصبح اسم الباشا وابنه على كل لسان. فالحياة مع عدلى راكدة وراوية ليست خائنة بطبيعة تكوينها. فهي لم تخذل زوجها ولا تنوى أن تخونه. وهى لهذا ضيقة بحياتها معه ضيق ملالة، وهو نوع من الضيق يجعلها تبحث دائما عن تسلية. قد تكون هذه التسلية كبيرة كقضية الباشا أو صغيرة كاتضمامها إلى مجموعتين من السيدات احداهن للحديث، وهذه تضم خديجة وشهيرة ومجموعة أخرى للعب الكونكان لعبا لا تلقى فيه بكثير من الأموال، فهي ليست مغامرة بطبيعتها، وهى تعلم مقدار الغنى الذى انسكب على زوجها بعد وفاة أمه وخاصة أن أباه فى ترفعه أبى أن يأخذ نصيبه من تركة زوجته وترك ذلك النصيب لابنه الذى رفع عليه دعوى السفه، فزاد هذا من اكبار الناس لذكرى





## □ نفوس من ذهب و نبال

ومن احتقارهم لعدلى. على أية حال لم يكن هذا الغنى سببا يجعل راوية تنفق المال فيما لا يفيد. فهي تقدر أن ابنتها التى جاءت بها والتى لا تنوى أن تجيء بغيرها لن تغفر لها تبديد أموال أبيها. وقد كانت ابنتها هالة هى كل شىء فى حياتها.

فمادامت حياتها قد خلت من الزوج فلا أقل من أن تعمرها الابنة. وهكذا استطاعت راوية أن تتواءم مع حياتها وتقبلها وتخلق فيها المتعة التى حرمتها بزواجها من هذا الأبله.

وقد كان عدلى خليقا أن ينعم بحياته هو أيضا. فهو يستطيع دائما أن يجد أصناف الطعام التى يطهوها، ويستطيع دائما أيضا أن يجد مجالس النساء، ويشاركهن الحديث. كان يستطيع هذا جميعه ولكن قضية أبيه حطمت كل المتع التى كان يستطيع أن يخلقها لنفسه. لقد وهم أن القضية ستحطم سمعة أبيه. فإذا هى لا تمس أباه فى شىء، وإنما تحطم حياته هو تماما.

لقد وجد نفسه بين أصدقائه مجال سخرية لازعة كانوا يخفونها عنه فأصبحوا يبدونها. بل لقد وجد السيدات من صديقات أمه يشحن عنه بحديثهن. حتى لقد أحس فجأة انه لا يجد فى حياته شيئا أو انسانا. زوجة لا تحدثه إلا بصيغة الأمر، وهو بأوامرها هذه مطمئن إلى أن شئون البيت لا تحتاج منه إلى رعاية.

ولكن هو.. هو عدلى ماذا يصنع بحياته.. أن أموال أمه كلها عمارات، فهى لا تحتاج إلى ادارة وإنما هى الدائرة يذهب منها موظفان كل شهر يجمعان الايجارات، ثم لا شىء بعد ذلك وهو يذهب إلى دائرة أمه كل يوم ولكن بلا عمل. تاه عدلى فى الحياة وتاهت به الحياة.. لا يرافقه فى التيه الممتلىء

## لنفوشر من ذهب و نكاه

بالحسرة إلا صديقه عزت بهادر.. لعلك لا تذكره فقد مر ذكره عليك  
مرورا لا بريق فيه ولا لمعان.

وماذا بى أن أمعن عنده النظر والحياة نفسها خلقتة فى عجلة فلم  
تجعل له عمقا يقف عند محب للتعقق.

انه ابنة خالة خديجة. وكان طبيعيا أن تقوم بينه وبين عدلى هذه  
الصداقة التى تجمع السخفاء والضائعين فى مواكب التفاهات،  
يزيدهم الغنى تفاهة، ولا يستر عليهم حقيقة أمرهم. ومن عجب أن  
تصحب فضيحة عدلى مع أبيه فضيحة لعزت فى الدوائر التى تحيط  
بهما.

كان عزت على صلة بسيدة طلقت حديثا من زوجها.. وأعجبها  
جمال عزت وربما أعجبها أيضا فراغه. فالسيدات فى أحيان كثيرة  
يستطن أن يعجبن بما لا يعجب به آخرون، ولم يكن عزت فى صلبته  
بهذه السيدة يطلب منها وفاء أو ولاء فلقد عرف أنها اتصلت بعد أن  
عرفته باشا عجوز أرغمته ظروف خارجة عن إرادته أن يعمل فى  
الحياة السياسية، فإذا هو يتصدر منصبا خطيرا، وليس له فى نيل  
منصبه سابقة فضل، ولا عرف عنه الذكاء لا قدر الله، وإنما هو  
منصب يتمنى كل حزب أن يكون شاغله من أعضائه، وحتى لا يزيد  
هذا المنصب الخلافات بين الأحزاب استقر الرأى أن يشغله شخص  
لا ينتمى إلى أى حزب، ولا يعرف عنه أنه يميل إلى حزب بعينه وبين  
شخصيات مصر جميعا لم يكن هناك إلا عبدالمحسن باشا وفيق  
فشغل المنصب.

وتعرف فى إحدى الحفلات بنجاة طلبية. وفى خبرة أدركت نجاة أنه  
طلبتها. فعزت وان يكن غنيا إلا أن غناه ليس بالقدر الذى يتيح لها أن



## □ نفوس من ذهب وفلاس

تتال ما تشاء. أما عبدالمحسن باشا فغنى لا نهاية له. .  
كان الباشا فى السبعين من عمره. وحين خرج من هذا الحفل كان  
موعد لقائه بنجاة قد تحدد.  
والتقيا.

كانت نجاة حاملا منذ لقائها الأول بالباشا، وكانت قد أخبرت عزت  
أن يحدد موعدا مع طبيب يعرفانه ليخلصهما من الجنين فى شهره  
الأول. ولكن بعد أن تعرفت بالباشا اتجه رأيها إلى تفكير آخر.  
- أنت لا تعرف منذ متى وأنا أحبك.

- هل كنت تعرفيننى؟

- ومن فى مصر لا يعرف عبدالمحسن باشا وفيق؟

- لم أكن أتصور أن سيدة فى جمالك تحب رجلا فى..

- لا تكمل.. أن أجمل سيدات مصر يتمنين منك نظرة.

- أنت تبالغين.. اننى رجل عجوز.

- عجوز.. أنت عجوز.. فليسألنى من لا يعرف وأنا أدله على الخبر  
اليقين.

- فأنت ترين اننى.

- شاب فى العشرين.. صحة تأكل الحديد.. ولكن هناك شرطا.

- أأمرى.

- تحتفظ بهذه الصحة لى أنا وحدى.

- أنت تعرفين أن زوجتى ماتت.

- وأنا من أين أعرف.. ربما لك زوجات أخريات تخفين.

- زوجات بالجمع.

- صحتك هذه لا يكفيها عشر نساء.

## □ نفوشر من ذهب ونحاس

- طمأنك الله.
- احلف.
- أحلف.
- أنا لا أصدقك.
- لا تصدقين يمين الباشا.
- أنت معى. لست الباشا. انك هنا الولد الشقى الذى لا أضمن كلمة من كلامه.
- وماذا تريدین حتى تضمنی؟
- هناك حكاية لم أتأكد منها.. اذا تأكدت سأخبرك ما الذى أريده.
- \* \* \*
- اليوم لابد لنا من حديث.
- أنا تحت أمرك.
- لابد أن نتزوج.
- ماذا؟
- لأشك انك سمعت..
- لماذا؟
- أولا هذا هو الوضع الطبيعى.. فأنا سيدة مطلقة، وأنت مهما تكن فانت غريب. ومقابلتى لك ستثير الأقاويل.
- ولكن مركزى.. ماذا سيقول الناس اذا أنا تزوجت.
- أخاف أن يقال تزوج بسنة الله ورسوله، ولا تخاف أن يقال اتصل بسيدة عن غير طريق مشروع؟!
- ولكن.. ولكن.
- ولكن ماذا أنا لست من أسرة بسيطة.

# □ نفوش مر ذهب و نيلام



## □ نفوس من ذهب وفلاس

- هذا مؤكد. فأنا أعرف المرحوم والدك. وليس هذا هو الاعتراض مطلقا. إنما أخشى أن يضحكوا من رجل فى السبعين.
- سنك. هذا شأنى أنا وحدى.. وأنا وحدى التى أعلم حقيقة سنك حين تخلو بنا الحجرة.
- يا حبيبتي.
- ومع كل هذا فأنا لم أقل لك الخبر المهم.
- وهناك أيضا خبر مهم.
- انى حامل.
- ماذا؟
- الذى حصل.
- لقد عشت مع زوجتى أكثر من أربعين سنة، ولم أنجب منها فأرا.
- ولكنك فى شهور قلائل ستنجب منى طفلا. وانى واثقة أنه سيولد بهذه الشوارب التى تحلى وجهك، والتى يرسمها رسامو الكاريكاتير بدلا منك، ويقهقه الباشا من فرح أو سعادة أو من النكتة. فقد اختلط عليه الأمر ولم يعد يدري، ويعود إلى الجد لحظة.
- ولكن اسمعى.. اسمعى.
- قل.
- ألا يحسن أن يكون الزواج عرفيا؟
- ولماذا؟
- أنت تعرفين أن ثروتى كبيرة. والطامعون فيها كثيرون. وإذا عرفوا اننى تزوجت سيرفعون دعوى سفه على. اذا كان الولد الأهل عدلى رفعها على أبيه وهو أبوه. وإذا كانت دعوى السفه رفعت على زكريا باشا عبقرى السياسة والقانون ألا ترفع على؟ أما الزواج العرفى

## □ نفوس من ذهب ونداس

المستور فانت تنالين به حقوق ابنك.

- بعد الشر.

- اسمعى الكلام ومع ذلك لا يشعر به أحد.

- أنا موافقة.

وتم الزواج بشهادة عبود عبدالقادر السفرجى، وسمهان عبدالمولى السائق.

واستطاع الحمل بعد ذلك أن يظهر للعيان فى غير خجل. وقد أصبح هذا الحمل مزحة صويحبات نجاة تشاركهن السخرية منه. كما أصبح حديث الدوائر التى لا عمل لها إلا الحديث. وعللى وعزت يضحكان مع الضاحكين.

وقبل أن يفرج الباشا بقدوم ابنه انتقل إلى العالم الآخر وانفجرت قضايا الميراث.

والعجيب أن الطفل جاء نسخة طبق الأصل من عزت. فقد أبت السماء أن تشارك الخاطئين فى جريمة اختلاط الأنساب. والأعجب أن عزت أصبح هو الذى يدور مع نجاة عند المحامين ليتمكن من إثبات بنوة ابنه إلى رجل آخر. ولكن شهادة الميلاد على كل حال قد كتبت اسم الطفل وجدى عبدالمحسن وفيق.. وذهبت الشهادة فى طريقها للقضائى، واستمرت علاقة عزت بوضعها هذا العجيب. واستمرت معها القضايا توشك لا يبين لها نهاية. فالثروة ضخمة، وأبواب الطعن والتلاعب بالقانون هياها أن تعرف حدا تقف عنده.

وهكذا أصبح عزت مثل عدلى سخرية الساخرين. فما بعجيب أن تتوثق بينهما الصداقة. وكلاهما غنى، وكلاهما فارغ بلا عمل. فى هذا الفراغ وفى هذا الشعور من كل منهما أنهما يعيشان

## لأنفوش من ذهب وفضة

الحياة، ولا يعيشانها، بدأ زمايهما إلى السباق يكون منتظما، وبدأ أيضا جلوسهما إلى مائدة القمار يكون يوميا.

ويحدث ما لا يتوقعه أحد. تحاول راوية أن تمنع زوجها من اللعب، فإذا هي لأول مرة تواجه من عدلى عصيانا.

كيف استطاع أن يعصى. لم يكن القمار قد تمكن منه إلى درجة الامان. ولكنه أحس فجأة انه يجب أن يعصى. ويحدث شيء آخر لا يتوقعه أحد. لقد بدأ عدلى يتوارى بقبحة فى جمال عزت، ويبحث عن النساء، ويحاول أن يتعرف بهن فإن رفضته واحدة لا تطيق قبحة، قبلته أخرى يغريها ماله.

ليس لعزت زوج ولا ولد رسمى. فهو حر يفعل بماله ما يريد. أما عدلى فله ابنته وله زوجته.. أن ذهب عنه هذا المال، فأى مصير يمكن أن ينتظرهما أو ينتظرانه.

أصبحت راوية تنظر إلى الحياة فى هلع، وأصبحت فجأة تتمنى أن تعود إلى حياة اللالة، ولكن مازال هناك أمل يمكن أن تلجأ إليه.. ومالها لا تحاول.



# □ نفوشر من ذهب و نیکلاس



## □ نفوس من ذهب وفلاس

أصبحت سهير ممدوح حرم الباشا رسمياً، وتصدرت بيت زوجها، وأحست بمكانها هذا الجديد، وخشيت العيون الرواصد حوليهما، سواء كان ذلك في المنزل أو في خارجه، فأمرها اليوم وهي الزوجة الرسمية التي تصحب الباشا في كل مجتمع غير أمرها في بداية الزواج يوم كانت تنستر عن العن. لقد كان شعورها يومذاك يغريها بهذه الصلة التي أتاحتها لراشد فقد كانت تحس أنها عشيقة وليست زوجة. أما اليوم فالوضع مختلف سهل الاختلاف. ومادامت هذه الصلة بينهما وبين رشاد قد مرت لم نلها الألسنة. فالحمد لله، وأصبح لا بد لها أن ترعى مكانتها الجديدة ومستقبلها.

ولهذا لم تجد بأساً أن تليى دعوة راشد لزوجها إلى العشاء، ولم تجد بأساً أيضاً أن توطن صداقتها بخديجة. وبطبيعة الحال وجدت شهيرة في اسم زكريا باشا ذلك الطنين الذي تهواه، فسعت إلى صلتها هذه بسهير، تزدها ثبوتاً ورسوخاً وقد وجدت سهير فيها خير صديق. فهي تماماً التي تصلح لصداقتها. فإن تكن الثقافة والقراءة والإصلاح قد أفسدت عقل خديجة وجعلتها في جلوسها إلى السيدات تبدو غريبة، وإن بنلت غاية الجهد أن تبدو متوائمة مع الجلسة. فإن شهيرة سيدة كما يجب أن تكون السيدات التي تحبهن سهير.. حكايات الآخرين والتعليقات الخبيثة أحياناً



## □ نفوس من ذهب و نكاح

والفاجرة أحيانا أخرى والذكية الطريفة غالبا .  
كان أقصى أمل تسعى إليه سهير أن تأتي لزوجها الشيخ بمولود، وقد سألت الأطباء فوجدت أن ما تحلم به أمر يمكن الحدوث .  
وهكذا ازدادت صلتها بشهيرة توطدا . فهي رفيقتها إلى كل المظان التي يمكن أن يحقق أملها . وحذار أن توحى إليك هذه الجملة بتفكير غير شريف . فهي فعلا تريد مولودا لذكريا . على أن يكون ذكريا أباه فهذه المظان هي الأطباء غالبا . وفي أحيان قليلة تكون هذه المظان بيوت الله يتلمسن البركة عند المشايخ الأطهار وآل البيت . وفي مرة واحدة صحبتها شهيرة إلى أحد السحرة ولم تكررهما ، فقد خشيت أن يغضب الباشا إذا علم .

وكان حمل شهيرة سببا رائعا لتكون زيارتها للأطباء طبيعية، وكانت صداقتها لسهير تجعل رفيقتها بهذه الطبيعة نفسها .  
وقد دلت بعض دلائل لا تكفى للتأكد أن أمل سهير وشيك التحقيق .

\* \* \*

كانت راوية تريد أن تقصد إلى سهير مباشرة، ولكنها لا تعرفها . وقد خشيت من لقاء خشن ستكون سهير معذورة فيه بعد الذي فعله عدلى مع أبيه .

ولم تفكر راوية كثيرا، وإنما قصدت إلى خديجة . فهي تعرف حسن مداخلة الأمور وذكاءها وحكمتها عن التقدير .

- مطلب غريب ساطليه منك .

- على كل حال أنا لست غريبة وتستطيعين أن تطلبي منى ما تشائين بلا استثناء .

- حتى ولو كان مطلبيا شاذا .

- ان لم تقصدي صديقتك المخلصة بالمطلب الشاذ فمن تقصدين؟

- أريد أن أصلح ما بين عدلى وذكريا باشا .

- أرى مطلبك حكيما وعاقلا بل رائعا أيضا .

- أنت تعرفين أن عدلى انغمس في القمار، وقد فشلت معه كل وسائلى،

ويخيل إلى أن شعوره بغضب أبيه عليه هو الذى يجعله يندفع هذا الاندفاع .

- اسمعى أن تفكيرك كله صائب، ولكن لى رأيا .

- قولى .

## □ نفوشر من ذهب و نكاح

- أنا سأسافر غدا إلى الحجاز مع الباشا لنحج. ولن يتاح لى أن أقابل  
 زكريا باشا إلا بعد عودتى ولكن لى رأيا.  
 - وما هو؟  
 - ما سبب خلاف عدلى مع الباشا؟  
 - زواج الباشا.  
 - سأترك الحقائق وأنزل معك الآن إلى سهير أعرفك بها، وسترين أنها  
 تستحق كل خير.  
 - أتظنين ذلك؟  
 - هلمى بنا.  
 \* \* \*

كانت سهير جالسة مع شهيرة، وأصبحت كل دقيقة تمر على سهير دون  
 أن يحدث جديد فيها يدينها من أملها. وكانت السيدتان تتوقعان أى زيارة  
 إلا أن تكون راوية.

ولكن شهيرة سيدة تعرف كيف تستقبل من يأتى إلى بيتها، حتى وإن لم  
 يكن متوقعا.. بل حتى أن لم يكن كريما معها.  
 قالت راوية:

- أظن يا سهير هانم لم تكونى تتوقعين هذه الزيارة منى.  
 - على العكس كنت أتوقعها من زمن بعيد.  
 وقالت شهيرة:

- طالما قلت لك أن سهير مندهشة أنك لم تأتى إليها.  
 - كنت خائفة يا سهير هانم.  
 - أظن هانم هذه ليست فى محلها.  
 - أنت مكان حماتى.

- ولكنى أقاربك فى السن. ونحن أقارب، وقد فرحت بهذه الزيارة فرحا لا  
 تستطيعين أن تتصورى مقداره. فقد كان بعد ابن الباشا وبعدك عنه  
 يغصنى دائما، وليس له فى الدنيا إلا أنت وزوجك.  
 - البركة فى حضرتك.

- أنا لا أستطيع أن أعوضه عن ابنه وزوجة ابنه وحفيده التى لم يرها  
 حتى الآن.  
 وقالت خديجة فى ذكاء لبق:

## □ نفوس من ذهب و نكاح

- يا أختى. لقد أحضرتنى بلا مناسبة.. لا لزوم لى فى هذه الجلسة أبدا.  
- لم أكن أعرف أن سهير هانم..  
وقالت سهير مقاطعة:  
- هيه؟  
- سهير لطيفة إلى هذا الحد.  
وقالت خديجة:  
- وعرفت.. أروح أنا لأكمل حاجات السفر.  
وقالت شهيرة:  
- حج مبرور ياستى والله لولا الذى أحمله لذهبت معك.  
وقالت خديجة:  
- فلماذا لا تأتين أنت ياسهير، وما أنت لا تحملين شيئا.  
وقالت شهيرة فى تخايث مقصود:  
- وكيف عرفت؟  
وقالت خديجة فى فرحة مندهشة:  
- ما هذا؟. أصبح هذا الكلام؟  
وأطرقت سهير وقالت شهيرة:  
- ولما لا ياستى. السنا مثل الأخريات؟  
وتحمست خديجة:  
- ردى يا سهير.. صحيح هذا؟  
وقالت سهير فى جمجمة:  
- والله أخشى أن أقول نعم. وأنا لم أتأكد بعد.  
- يا أختى قولى نعم ولا يهمك.. ألف مبروك.  
وقالت رواية فى فرح صادق. فهى تتمنى أن تنجب سهير. فوجود طفل  
لها سيجعلها تزداد حبا لابنتها هالة.  
- ربنا يجعل لىختى عليك مبروكه إن شاء الله. ولو كانت غيرك وأنت أول  
مرة تريننى فيها لظننت اننى فرحانة من وراء قلبى، واننى كنت أتمنى أن  
يفوز زوجى بثروة أبيه، ولكن المال والحمد لله كثير، ولا ينقصنا، وليس لنا  
إلا هالة ولا ننوى أن نجىء بغيرها. وكم أتمنى أن يأتى لها منك عم قريب  
من سننها فيصبح لها كاخ من دمها ولحمها تستطيع أن تعتمد عليه.  
وفرحى بهذا الخبر فرح واحدة أحبتك من أول زيارة، وفى نفس الوقت تريد

## نافوس مر ذهب ونحاس

أخا لابنتها. فصدقيني أنا فرحانة.  
- يعلم الله ياراوية لقد صدقتك. وأنا لم يكن يهمنى أن يكون المولود ولدا  
أو بنتا ولكن بعد الذى قلته أصبحت أتمنى أن يكون ولدا.  
- سادعوك عند شباك النبی إن شاء الله يا سهير، وسيكرمك الله بادن  
الله أفوتكم بعافية.

هل أرسل لك السيارة يا راوية؟

وردت سهير:

- سيارتنا ستوصلها لا تحملى هما.

\* \* \*

حين قصت سهير على زكريا باشا ما حدث.  
- ألم تعرفى أن كانت جاءت بعلم عدلى أم بغير علمه.  
- هي لم تقل ولكن الذى أتصوره أنها لم تقل له.  
- أنا أمامى حل واحد.  
- ما هو؟  
- أنا أستطيع أن أعين عدلى فى وظيفة خارج القطر.  
- خارج القطر؟  
- نعم مثل فرنسا أو سويسرا. فهو مهندس وعليه أن يمارس هذا الذى  
تعلمه ليحس أنه يصنع شيئا فى الحياة.  
- ولكن يا زكريا أن له ابنه فكيف يكون الأمر..  
- نعم هذا ما أريد الكلام فيه؟  
- ماذا تريد؟  
- أريد أن أرى البنت.  
- وماله؟  
- أنا أعرف أنك تتمنين طفلا وحفيدتى عندك ستكون مثل ابنتك.  
- أنا أريد أن أرى حفيدتك لأنها حفيدتك، لا لأنى أريد طفلا.  
- وما اليأس أن تجمع هالة بين صفتى حفيدتى وابنتك فى وقت واحد؟  
- أنا عندى طفلى ولست..  
- ماذا.. ماذا قلت؟  
- كنت أريد أن أتأكد قبل أن أقول لك، ولكن ليس من المعقول أن تعرف  
صاحباتى وأنت..  
- هل أنت جادة؟

## □ نفوش من ذهب و نخله



## □ نفوثر مر ذهب ونجلاس

- وهل يمكن أن أهز في مثل هذا؟
- وهل أنت متأكدة؟
- أكاد.
- وحجم زكريا باشا وجلس مفكرا.
- ماذا يا زكريا أكثر على طفل منك؟
- ياسهير فكرو في الحكاية.. ما هذا الكلام الذي تقولين؟
- والله أنا زعلت.
- يابنتي. لقد ظلمتك حين تزوجتك. وبهذا الطفل يكون ظلمي لك قد تضاعف.
- وهل شكوت لك؟
- سهير أنا لا أحتاج أن أسمع منك شكوى حتى أعرف الحقيقة.
- الحقيقة أنك تخاف أن يغضب عدلى أن جئت له بأخ. فأنت مهما يفعل بك تحبه.
- اسمعى ياسهير. عدلى أنا ظلمته، لأنى شغلت بنفسى وبالسباسة ولم أعن أقل عناية بتربيته ولهذا أنا أشفق عليه. أما الطفل الجديد، فأنا أحبه أكثر من عدلى لأنى لن أرى منه ما رأيته من عدلى.. حتى لو أصبح فى خلق عدلى فإن الحياة لن تتيح لى أن أرى منه شرا. أما تفكيرى الذى رأيته، ووجومى فهو أننى أهملت ابنى الأول بزحمة الحياة. وهانذا ساهمل ابنى الثانى بفضل الموت.
- زكريا ماذا تقول؟
- لقد جاوزت الخامسة والسبعين. فكيف يمكن أن تتيح لى الحياة تربية ابن مازال جنينا فى عالم الغيب.
- أهذا ما يحزنك؟
- ومع ذلك فأنا لست حزينا، ففرحك بطفلك يجعلنى فرحا به أنا أيضا.. كل ما فى الأمر اننى أفكر.. أعجيب على رجل فى مثل سنى أن يفكر.
- اتركها على الله يا زكريا.
- إن الله سبحانه لديه الكثير الذى يشغله. هل كان لابد لرجل مسن أن يشغله هو أيضا بطفل يأتى به وهو فى آخر العمر.
- لا تحاول أن تفكر لله أيضا يا زكريا.
- استغفر الله العظيم.
- استغفر الله العظيم.



# □ نفوش مر ذهب و نلاس



## □ نفوس من ذهب ونحاس

لم يكن ذهباً راشداً إلى الحج خطوة عابرة، ولكن الحقيقة أنه مع كل العريضة التي صخبت بها حياته مؤمن عميق الإيمان، وهو منذ تزوج استطاع أن يجعل من خديجة أنسه الصاحب حين يشاء، وزوجته حين يقتضى الأمر، فهو تائب.

وحين أتى إليه أسامة أراد أن يقل من كتابه صفحات يخشى فى فترات ملل أن يغرى بفتحها ويعود إليها.

فصحب خديجة واتجه إلى بيت الله واستلم أركان الكعبة، وتغشاه ذلك الرهب الأمين الذى يعرفه من يعرفون الله، وانسربت من عينيه الدمعات، والتفت إلى خديجة تظللها صفحة البيت الحرام، فرأى فى وجهها الخشوع حيا فواحاً بأريج من العطر حسب اللحظات أته يراوحها من سماوات صاحب البيت واستغفر الله، وأطرق وظلت هى رانية العينين إلى الكعبة، يوشك من يراها أن يظن أنها تستشف من وراء الأستار وجه عزيز كريم.

طافا وأديا مناسك الحج، وانتقلا إلى بيت النبى، وما أن وقف فى

## □ نفوس من ذهب وفضة

رحابه راشد حتى ذهل عن الدنيا وتولته خفقة أرعشته فإذا هو بكاء  
ويكاء، يكاد جسمه يستحيل إلى عبرات، وارتمى على أعتاب النبی،  
كأنه صديق قديم يلقي بنفسه إلى أحضانه، وراح يصيح هذا مكان  
الخطائين يارسول الله فاشفع.. اشفع فریما أخطأنا لتشفع.

وأحست خديجة أن بينها وبين النبی سبیا فهي سمیة حبه الأول  
وحضن رسالته الدفیء، وهي منذ عرفت الحیاة تركع فی ایمان  
وتسجد فی صدق مع نفسها ومع الله.. ان القبر الذي أمامها يضم  
من الدنيا أحب الدنيا إليها، ويضم من الآخرة وسيلتها إلى أجمل ما  
تعد به الآخرة من لقاء وجه الله.

نسى راشد أن بجانبه زوجته، بل نسی أنه زوج، ونسی أن له ابنا  
ينبغي أن يدعو الله فی هذه السدة الزكية.

ونسيت خديجة أنها فی صحبة زوجها، بل ذهلت عما يحيط بها،  
ونسيت وهي الأم ابنها.

حتى اذا هدا بعض الروع من الزوج والزوجة أشار المطوف فی  
هدوء صوته وكأنه أمر عادی ليس له ما له من جدال وسموق.

- هنا كان ينزل الوحي على رسول الله.

وانتفض رائد وكأنما مسه المس.. هنا.. هنا التقت السماء بالأرض  
أكرم سماء بأكرم من فی الأرض آخر لقاء عرفه الكون. هنا انقلبت  
موازين العالم من الجبروت إلى المساواة، ومن العزة بالاثم إلى عبادة  
رحمن السماوات والأرض، ومن الفجور إلى العفة، ومن الوهم إلى  
الحقيقة، ومن عبث الحیاة والموت إلى مجد الدنيا والآخرة، ومن  
الحضيض إلى القمم الشامخات. ارتمى بجانب مكان الوحي وراح  
ينظر إليه فی خشوع وحب، ثم استجمع وقام فصلى وحين ختم  
الصلاة أفاق إلى خديجة تنهى صلاتها هي أيضا.

لقد زار راشد العالم أجمع. ولكن شيئا لم يزلز كيانه جميعا كما  
زلزل فی رحاب الله وفي حضرة النبی الأعظم، ليس متصوفا وإنما

## □ نفوس من ذهب ونحاس

هو مؤمن. فما هذا الذى لقف نفسه جميعا وهزما، فانتفضت كشجرة فى بواكير حياتها تناوحتها ربح عاتية تقتلع شم الأشجار وعواليها، ولكن العجيب أنه أحس أن شجرته ازدادت ثبوتا. فى سموات الإيمان وفى أحضان الخلود.

أحس أنه يريد أن يذوب تخشعا وحمدا لله. أنه مؤمن. فهذا الإيمان تفجرت فى نفسه هذه الاشعاعات النورانية، فعانق نوعا علويا من السعادة لم يعرفه فى أى لحظة من لحظات حياته.. عريضة كانت هذه اللحظات، أم لحظات مؤمنة قانتات.

مساكين أولئك الذين لا إله لهم ولا دين ترسو على شواطئه الآمنة الجازعات من أيامهم. والهالعين من مضطرب حياتهم يقطعون حياتهم هباءة هائمة تقطعت أواصرها بأصولها، وانعدمت طرقها إلى المستقبل، لا تدرى من أين ولا تدرى إلى أين. باختيارها ألقت بنفسها إلى الضياع فشمل الضياع ماضى حياتها ومستقبلها وما بعد المستقبل.

ودع راشد وخديجة الأراضى المقدسة واستقبلتهما على الباخرة جماعة من الأصدقاء.

وحين استقر بهما المقام فى بيتهما بالقاهرة أقاما حفلا كبيرا دعوا إليه من تعودا أن يدعواهم ولكن الرهط المدعو فوجيء بشيئين لو لم يكن الداعى هو راشد، لكانت المفاجأة أعظم وطأة وأشد غرابة. لقد أقام راشد بمناسبة حجه وحج زوجته إلى بيت الله الحرام حفلا غنائيا أحبته أم كلثوم، والأعجب من ذلك أن الخدم داروا فى الحفل بكؤوس الويسكى والكونياك. وكل ما تعود رشاد أن يقدمه فى ولائمه الشئ الجديد الوحيد الذى خجل أن يعمل فى يومه هذا أن يشارك أصدقاءه فى شرب الخمر.

## □ نفوس من ذهب و نبال



## □ نفوثر من ذهب ونحاس

انقلب زكريا باشا إلى إنسان آخر بعد أن وهب له يحيى،  
وجاءت حفيدته هالة لتعيش معه بعد أن سافر أبوها إلى سويسرا  
ليعمل مهندسا فى شركة عالمية للكهرباء.  
لم يصبح زكريا باشا ذلك الرجل الوقور الذى لا ينطق كلمة إلا  
بعد أن تمر بمئات المرشحات فى عقله الكبير وثقافته الواسعة  
التي جمعت ثقافة السياسة والقانون والأدب والمجتمع جميعا فى  
رأس واحد هو رأس ذلك الرجل.  
أصبح الآن لا يغادر بيته فرحا بعبط الطفل الوليد، وسذاجة  
الطفلة التي تتحطم على شفقتها الكلمات.  
والأعجب من ذلك أنه حين يجلس فى مجتمعه لا يفوته أن يذكر  
شيئا من ضحكات ابنه أو بكائه، وشيئا آخر من انقلاب الكلمات  
إلى ألغاز على لسان حفيدته.

## □ نفوش من ذهب ونداس

أصبح الرجل الذى لم يهتم بابنه فى بواكير الشباب، فجعله يخرج إلى الحياة مثقفا ثقافة امرأة جاهلة أو ثقافة طاه على أكثر تقدير. يحاول اليوم أن يتقف ابنة هذا الابن أعظم ثقافة، بل أنه فى تعجله للأيام وفى خشيته أن تعاجله بالنهاية قبل أن ينفذ لابنه وحفيده ما يهفو إليه راح يحاول محاولات تدعو إلى السخرية أن يتقف يحيى نفسه، وهو على كتف أمه أو كتف مربيته.

ويوم تصبح سن هالة صالحة لأن تذهب إلى المدرسة يذهب هو شخصيا معها إلى مدرسة السكركير، وتشعر الراهيات بأهمية الطفلة عند جدها، ويقصد هو أن يؤكد هذا الشعور. فيذهب بعد ذلك كل أسبوع ليكون على متابعة تامة لتقدم حفيده فى الدراسة.

وتدرك سهير أن فى أرضائها لها له ارضاء للباشا، فتحرص على أن تدللها دائما. ولم تكن سهير غبية، فلا يفوتها أن تجعل الطفلة تخاف جدها حتى لا تكون حياتها كلها تدليلا. ويحمل الباشا مسئولية التأديب بقلب خافق. ولكنه يدرك أنه لابد من ذلك لتكون هالة كما ينبغى لها أن تكون.

ويوم يصبح يحيى صالحا للذهاب إلى المدرسة يقضى الباشا ليلة بيضاء، فلا يوزره النوم حتى بواكير الصباح.

لقد عاش حتى دخل يحيى إلى المدرسة. فما الذى يخبئه الغد لهذا الطفل؟ وأى مصير يلقى إليه اذا هو ذهب إلى لقاء به قبل أن يشب الطفل ويصبح جديرا بمواجهة الحياة مواجهة جديرة بالحياة وبانسان الحياة. لقد كان شبح عدلى يخيف زكريا باشا.

## □ نفوس من ذهب وتلاس

فهو يخشى أن يصبح الأخ مثل أخيه، بل أشد ما يخشاه أن يصبح عدلى مسئولا عن يحيى. ويحى بعد قضيب لدن يسهل تشكيكه، وويل ليحيى اذا شكل أخاه على شكله هو.

ان سهر طيبة سمحة النفس. وقد ينفع هذا فى أن يجعل يحيى نقى الضمير قريبا إلى نفوس الناس، ولكن هذا بالتأكيد لا ينفع يحيى فى أن يكون مثقفا. فليست سهر على شىء من الثقافة.. ليتها كانت مثل خديجة. ان راشد لاشك مطمئن على ابنه. فقد جاء به وهو فى سن باكرة، ثم هو لا يخشى عليه الغد اذا اختار هذا الغد أن يسلك راشد طريقه إلى الله.

طالما نادينا بأهمية تعليم المرأة وظنوا بنا الظنون، وحسبوا أننا بما ندعو إليه نحاول أن نقرب إلى الغرب فى عماية، ودون نظر إلى ديننا وتراثنا. وأنا لا أعرف فى الدين شيئا يمنع تعليم المرأة. بل أن ديننا أول دين جعل لها كيأنا وزمة مالية مستقلة عن زمة الزوج.

أهذا وقته. من ليحيى فى غده.

لقد جاوزت العمر وأنا أعلم أنى اليوم أقف على مشارف الجانب الآخر من الحياة.

أرايت. لا يستطيع العقل أن يحل كل المشكلات. لا بد من هذه الغرفة المضيفة من الايمان لنحيا بها. فلولها لجزعت أيامى كلها وقضيت ما بقى لى من الحياة مجنونا ملهوبا على مستقبل ابنى هالعا من الغد. وحينذاك أبدد أيامى الباقية فى الخوف، ويسلمنى الخوف إلى سوء الرأى.. ليس لى إلا أن أكل الأمر إلى



## □ نفوس من ذهب ونحاس

الله. والموت والحياة بيده. وبهذا الموت أو الحياة يتحدد مصير ابني يحيى وحفيدتى هالة.. اذن فهل نحن مخيرون أم مسيرون. نحن لا نتحكم فى مولد أو موت واذن...؟!

ما بين هذين نحن فيه مخيرون. ومصير يحيى الا يرتبط ارتباطا وثيقا بموتى وحياتى.. أهو بعد هذا مسير أو مخير؟ لقد اخترت أنا أن أجيء به، وأنا فى هذه السن. وهذا فى ذاته اختيار. ثم حين يشب عن الطوق هو مخير فيما يفعل. أهو مخير أم تحكمه تربيته.. وكيف سار نهجه فى الحياة وكيف رياه من رباه. ولكن الذى رياه أيا كان سواء كنت أنا أم كانت أمه أم كان أخاه قد اختار له الطريق. فالاختيار اذن يحكم حياته.. سواء كان ذلك اختياره هو أم اختيار من أشرف على نشأته. لا يعقل أن السماء وهى العدل المطلق تجبر الانسان ثم تحاسبه. لا محاسبة إلا مع الاختيار. وبهذا يختلف جبار السماوات والأرض، وهو العدل فى قمم العدل الشامخة، عن الجبارين فى الأرض الذين ينفلون حكمهم على من لا يملكون الاختيار. أجبر واختيار ومدرسة يحيى غدا، وأنا لا أدري ما مصيره وما مستقبله.

اننى تاركها إلى الله.. وهل بيدي إلا أن أتركها لله. ومن يدري لعل يحيى.. أعمود بالله.. ليس لى غير الله.. أنا لم أقصر.. ولكننى قصرت.. أتزوج فى هذه السن، وأتى به أيضا ثم أزعج اننى لم أقصر. لقد أخطأت وابنى.. لهفى عليه.. هو الذى سيتحمل الخطأ لا أنا.

## □ نفوش من ذهب و نبال

أخطأت مع عدلى حين أهملت شأنه..  
وأخطأت مع يحيى حين جئت به.. وحسبى الله..  
ولكن أكنت أملك إلا أن أجيء به؟  
طبعاً.  
وأمة.  
ما شأنها؟  
ما ذنبها.. انها شابة وتريد أن تصبح أما.  
فليكن إذن أبو ابنها غير هذا العجوز الذى هو أنا.  
الخطأ يبدأ يوم تزوجتها.. اذن.  
لا سبيل لأى اذن.. لقد أخطأت وعلى وحدى.. يا ليت على  
وحدى يقع العبء.. وإنما ولدى هو الذى سيحمل العبء، ولا ذنب  
له فيه ولا حول ولا قوة إلا بالله.

# □ نفوس من ذهب و نبال



## □ نفوس من ذهب ونحاس

نظرت شهيرة إلى ابنتها طويلاً.. لم تكن تدري لهذه النظرة سبباً، وإنما هي ألقت عينها على بهيرة، ثم ثبتتها بحسب من يراها أنها نظرة بلهاء خالية من أى معنى. إلا أن نظرها اتجه إلى هذا المتجه، ثم شرد ذهنها وهي فى هذه اللحظة، ولكن لو أوضحت عن الإنسان فيها ما يتغلغل به الإنسان من أسرار لرأينا فى جوانحها هلعا على ابنتها، أو اذا شئت الدقة فى التعبير، ومالك لا تشاء، مادمت قد التزمت أنا أن أقص عليك، وأن أكون دقيقاً حين أخاطبك.

كان هلع شهيرة على نفسها لا على ابنتها، لقد قبلت زواجها من سامى، وحسبت أن الزوج بلا شخصية هو أصلح زوج لها، ثم ما لبثت أن تبينت أن الزوج بلا شخصية لا يصلح للحياة مطلقاً، فهو ما يلبث مع الأيام أن يصبح شيئاً بلا طعم ولا لون ولا رائحة. قد يكون مريحاً لزوجته، ولكنها تلك الراحة التى تسعد بها المرأة من خادم فى البيت، وتشقى بها غاية الشقاء من زوج يفترض المجتمع أن يكون هو السيد. وسامى مسكين لا يستطيع أن يكون سيداً أبداً. فالسيد لابد أن يكون مهياً لذلك بخلقه الشخصى أو بماله أو بهما جميعاً.

## □ نفوس من ذهب ونحاس

يمكن أن يكون السيد سيداً أو رجلاً إذا وجود إذا كانت الطبيعة قد وهبت له هذا السر العجيب الذى يجعل الانسان معتزاً بأنه انسان. ويأمن الله كرمه على العالمين، فلا ينبغي له أن يذل الانسان الذى كرمه الله فيه. يمكن أن يكون رجلاً إذا وجود إذا استطاع أن يروض أقدامه أن تسير على هذه الشعرة الواهية التى تفصل بين الانسان الذى يحافظ على كرامته، وبين الانسان التافه يحاول أن يحجب تفاهته بغروره.

وتلك موهبة ينميها البيت والمجتمع الذى يعيش فيه الانسان. وليس من الحتم أن يكون المرء غنياً لتنمو هذه الموهبة، وإنما من الحتم أن يكون هذا الانسان نابتاً بين أناس يعرفون كيف يكرمون أنفسهم، وكيف يكونون كرماء على الناس، يستغنون عن الغنى بالعفة، وعن الغرور بلين الجانب وحسن المعاشرة.

وقد يستطيع المال أن يحجب عيوب الشخصية المتلاشية، ولكن قليلاً ما يحجبها ثم ما يلبث الأقربون أن يدركوا الحقيقة، ويسقط حجاب المال، وتبقى الشخصية الزائلة.

وكان سامى يجمع بين الشخصية الضائعة وبين قلة المال وابتكر لنفسه أيضاً عدم العفة، فهو يريد أن يلبس أحسن ملابس وياكل أحسن مأكلاً، ولا يجد حرجاً من نفسه ولا من كرامته أن يلقي بهذا الثقل أيضاً على زوجته، غير مكتفٍ أنها تقوم بشأن البيت وحدها.

وقد يكون عيب سامى هذا شيئاً لا يصيب إلا خاصته الأقربين ومن يلاصقونه فى الحياة. ومن أقرب إليه من زوجته ومن ألصق به منها؟ ولكن ألا يكفى أن يصاب منه هؤلاء... وما الناس جميعاً إذا كان هؤلاء لا يكتفون له الاحتقار.

حين تسقط قيمة الزوج عند زوجته يصبح كل شيء لها مباحاً. ربما تكون شريفة الجوهر.. وربما تكون هى نفسها أبية تنأى بشرفها عن الألسنة اللاهية التى تتنمر بالمجتمع لتجعل السرف فيه جهراً، والخفى علناً، والخبىء شهيراً، والمستور مفضوحاً.

## □ نفوس من ذهب ونداس

ولكن زوجا كزوج شهيرة كفيل بأن يجعلها تنتقم منه حتى ولو كان عرضها هو اداة الانتقام. وقد تنازعها الرغبة عن العفة، وقد تغلب العفة آخر الأمر. أو قد تنتظر المرأة انتظارا غير لهيف وغير مكترث، ولكن انتظار ترقب، وقد تعرض لها سائحة الخيانة، وقد تتردد وقد تقبل أيضا.

كانت شهيرة وهي تنظر إلى ابنتها فى هذه الفترة التى ترد فيها والتى توشك فيها أن تقبل.

وكان الذى يعرض الفرصة صديقا لزوجها جمعت بينهما صداقة طبيعية. فهو رئيس زوجها فى العمل. ويتمتع سامى برضاء شكرى بك الكيلانى، فهو يحسن أن يكون مطيعا.

ومرض سامى بضعة أيام فزاره شكرى.. ورأى شهيرة فتوثقت الصداقة بين شكرى بك الكيلانى و... وسامى.

وكان طبيعيا أن تؤدي هذه الصداقة أن يطلب شكرى بك شهيرة هانم كل يوم، ويتحرى أن يكون هذا الطلب وسامى فى مكان العمل. وتنظر شهيرة إلى ابنتها بهيرة.

أى غد ينتظرك؟

أب موجود بلا وجود!!

وأم لا تمنع غير زوجها أن يتصل بها.. ولا ترى بأسا أن توغل العلاقة إلى أبعد من ذلك.

بهيرة.. أى مصير ينتظرك؟

# □ نفوس من ذهب و نیکاس



## □ نفوٲ من ذهب ونحاس

نزل راشد باشا من سيارته والتفت إلى السائق عبده خليل فى هدوء:  
- سيأتى اءهم لتسلم السيارة.. سلمها له.  
- أمرك سعادة الباشا.

ودخل راشد باشا إلى حجرة مكتبه، وءلس إلى المكتب البالغ الأناقة الذى ينتمى إلى عهد لويس السادس عشر، والذى يقال أن بعض وزراء هذا العهد كانوا ءجلسون إليه، ولكن راشد لم ينظر إلى المكتب الأنيق، وإنما كل ما فعله أن خلع الطربوش وءلس على كرسى المكتب ورفع رءليه ليستقر بهما على مكتب لويس السادس عشر. ونظر إلى سقف الحجرة ورجلت عيناها فى تهاويل السقف التى تصور ملائك السماء يءفون بأءنحتهم حول ملاك كبير تباعد جناحاها المذهبان، وارتسمت على شفثيه ابتسامة وادعة مطمئنة لا تستطيع أن يفزعها أو يشغلها عن اطمئنانها مفزع أو شاغل.. انها ابتسامة ترنو إلى السماء وتطمئن إليها. ومادامت بالسماء قد تعلقف فلا شىء يعنيها بعد ذلك.. لا شىء.



## □ نفوس من ذهب وفضة

وحين توغل العين في الابتسامة وفي عيني الملاك تجد صفاء وتجد  
مرحبا لكل بنى الانسان، يؤكد لها هذان الجناحان اللذان يفرشان  
السماء كأنهما ذراعان تتهيآن لاحتضان عزيز عائد.  
كان راشد باشا ينتظر إلى هذا جميعه، ولكن عينيه كانت لا تتبينان من  
التهاويل شيئا.

يراهما ولا يراها. تتماوج الصور في عينيه فتبين وتختفي وتلوح حتى  
تبدو وكأنها مجسمة واضحة، وتتلاشى حتى ليعطوها الضباب أو كأنها  
تمحوها أفواج من الظن وأستار من الأوهام. يفكر راشد باشا ولكنه لا  
يفكر، ويندهش ولكن لا يبدو التعجب على وجهه. تتزاحم صور وجوه مع  
صور السقف، فلا يتضح رسم ولا تتبلور صورة ولا يتحدد وجه.

ريما توسط أمواج الطيوف أسامة في وجهه البريء وفي كلامه  
الجنيد الطازج الذي يقع من أنف أبيه وأمه موقع النغم السماوى  
للمنسجم. يذكر ما تعلم في المدرسة، ويباهى به، وكأنما تعلمه وحده ولا  
يعرفه أحد من الناس غيره. ولا تغيب صورة أسامة وإنما يزحف عليها  
وجه خديجة، ويقلب على مدى السنوات التي تزوجها فيها غير حريص  
في قلبه على الترتيب الزمني، ولا على ترتيب ظهور لهذه التجاعيد  
القليلة التي بدأت ترسم في نيل على صفحات وجهها. قد تبدو أمه معها  
وهي في المرأة أول يوم رآها، ثم قد تقفز السنوات إلى يوم بشرته  
الزغاريذ بمجىء أسامة، أو قد تبدو وهي تتكلم معه في خاصة أمورهما،  
أو وهي تتكلم في المجتمعات العامة فتحيط بها هالات من الاعجاب، أو  
قد تحيط بها أيضا هالات الحسد. وقد تبدو أمه، وقد يذكر مرضها  
وتشبهتها بالفراش، وقد يثب وجه حمزة البلاشونى ثم فهمى عبد الحميد  
يكبر وجهه ويكبر حتى لا يتيح لأحد، ولا حتى لأسامة أن يبقى معه في

## □ نفقوش من ذهب وفضة

أطار الصورة. بل العجيب أنه يزيح أسامة أول ما يزيح والأعجب أنه ما يلبث أن يضمه، ويحتويه وكأنه يهدد أحلامه.

ويغمض الباشا عينيه، ولكن صورة فهمى متشبثة بالظلام تشبثها بالنور. ويهز الباشا رأسه فتمحى الصورة مرغمة.

ويعود نظر الباشا فلا يرى إلا تهاويل السقف، وتعود الصور إلى الوضوح، ثم ترين عليها أستار من الوهم أو أستار من الضباب.

وكأنما يثوب راشد إلى مكانه فتعلو وجهه فترة من الأسى، وقد تفكر دمعتان أن تستبيحا عينيه الشامختين، ثم ما تلبث الدمعتان أن ترتدا هالعتين تزجرهما كبرياء العينين أن تظهرا إلا فى العميق فى نفس الرجل الأشم. رافضا أن يبدو منه للعيان ألم، حتى ان كان خاليا إلى نفسه. فهذا المكتب بما يضم من أثاث، وما تحويه جدرانه وسقفه من نقوش أشياء خارجة عن نفسه، لا يجوز لها أن تعرف ما بداخلها أو تطلع عليه.

لم يكن يغيب أن هذا الذى يطالعه اليوم أمر يقع لكل من يعمل فى ميدانه. ولكن الذى كان يدesh له أنه كان يتقى هذا اليوم بكل نكائه وكل خبرته. وفى سرحة تفكير استعاد بها الأحداث الأخيرة أدرك أنه تخلى عن نكائه وعن خبرته جميعا يوم أراد أن يجتاح أسواق البورصة ليكون لابنه أعظم قدر من الثراء. وفى انشغاله بالنظر إلى الهدف عمى عن الطريق وغفل عن مزالقه.

لقد أصبح «ميداس» ملك الذهب الأسطوري الذى أحب الذهب حتى انقلب إلى ذهب. وإذا انقلب العقل وتجاريه إلى جماد حتى ان كان ذهباً كف عن العمل الأصل الذى خلق من أجله. وانهار الانسان. لأن الانسان تركيب يختلف تماما عن تركيب الذهب.. هكذا الأسطورة. أما

## □ نفوس من ذهب ونحاس

فى الحياة فإن العقل يتوقف، والتجارب، تنزوى نذيلة، وينهار الانسان. ولكن شيئاً من العقل. والتجارب أو الانسان لا يصبح ذهباً. لقد استعبده المال ففقد الاختيار، وإذا فقد العقل الاختيار فقد معه سبب وجوده فى الحياة. والعجيب أن الانسان صاحب هذا العقل لا يدرك هذا، لأنه لا يستطيع أن يدركه إلا بالعقل الذى توقف عن العمل، ومن هنا أجد نفسى مخطئاً. اتنى بدأت هذه الجملة بالتعجب، بينما العجيب حقاً ألا يحدث هذا.

لقد فقد حضرة صاحب السعادة راشد باشا برهان كل ما يملك. ومادنا نريد الدقة فى التعبير، فقد أصبح كل ما يملكه سعادة راشد باشا وبرهان مرهونا رهنا حيازيا لدائنين مختلفين، من بينهم فهمى عبد الحميد وجود هذا الدائن بين الدائنين يجعل راشد على ثقة مؤكدة أن الدائنين لن يتجاوزوا يوم البيع بيوم واحد.

لو أمعن راشد التفكير لكان الحل الطبيعى الذى يؤدى إليه المنطق الأخرس الجامد الذى لا يعرف السماء أن ينتحر سعادة الباشا. فهذا هو أسهل الطرق التى يستطيع أن يسير فيها. فهو لا يطيق أن يرى زوجته تلبس أخلاق الثياب، أو يرى ابنه يتكفف الناس يسألهم ما يرد به الجوع.

ولكن فكرة الانتحار هذه هى الفكرة الوحيدة التى لا تجرؤ أن تقترب من ذهن الرجل الصامد راشد برهان. لقد عاش غنياً، وسوف يثبت لنفسه وللناس أنه يستطيع أن يعيش فقيراً. ويظل على الحالين كريماً على نفسه. ومن كان كريماً على نفسه، فهو كريم على الناس، وأن رغمت من بعض الناس أنوف.

فى لحظته تلك لم يكن يعرف إلا أنه يستطيع أن يعيش، ولكنه فى

## □ نفوس من ذهب وفضة

لحظته تلك لم يعرف كيف سيعيش. كان يدري كل الدراية أنه مؤمن بالله، وأنه لن يذهب إلى رحابه إلا في طريق يرضاه الله لمن يؤمنون به. والعجيب أنه في لحظته القاتمة القاسية العاصفة، بل التي سكنت فيها العاصفة عن خرابه الكامل.. في هذه اللحظة كان يغبط نفسه.. لقد وجد فيها شيئا أكرم من الغنى وأغلى من المال. لقد وجد الطمأنينة إلى السماء والايمان بالله. ماذا يفعل غير المؤمنين لو تعرضوا لما يتعرض له. كان شامخا أن استطاعت نفسه أن تقر، وهي تحس أن في ثنايا نسيجها تنداح هذه النفحة الزكية الأمانة الحانية التي لا يستطيع أن يبقياها في نفوس العباد إلا اليد التي أبرأت هذه النفوس، وحننت عليه حنوا يتقاصر عنده حنو الأمهات على الفطيم.

تلك اليد الرؤوم التي تشفع الكارثة باللطف، والجزع بالأمن، والفاجعة بالايمان.

أسلم نفسه لها، واتضح له الحجرة كما عهدا خالية من الطيوف بريئة من الأخيلة. وانكشفت له تهاويل السقف عن فناها الرفيع الذي طالما بهره اذا ما سمت إليه عيناه.. أهذه الرسوم محجوز عليها هي أيضا.. أنها فن رفيع لا يقدر بمال، ولكن الدائنين لا يرون فيه إلا سقفا لا يكمل البيت بدونه، والبيت محجوز عليه. لا حياة للفن في صراع المال.

دخل الدرس إلى حجرة المكتب.

- فهمى بك عبد الحميد.

ولم ينزل الباشا قدميه عن المكتب ولم يجزع، وإن كانت بعض الدهشة قد تولته:

- ما له؟

- في الخارج يريد مقابلة سعادتك.

## □ نفوش مر ذهب و نيلام



## □ نفوش من ذهب ونداس

وصمت الباشا.. ليس من المعقول أن يأتى ليتشفى والجرح جديد..  
إنن.

- دعه يدخل.

وانزل الباشا قدميه واستعد للقاء الرجل. فمهما يكن البيت محجوزا  
عليه إلا أنه حتى الآن بيته.

دخل فهمى عبد الحميد، وأسى صديق مرتسم على وجهه:

- سعادة الباشا!

- أهلا فهمى.. اقعد.. اقعد أولا.

- سعادة الباشا أنا لا أعرف ماذا أقول لك.

وعجب راشد أن رأى بواكير دموع تطفو إلى عيني الرجل، وكأنها  
تودع دموعا أخرى سبقتها.. وأصبح الموقف أكثر من الانسان.  
وأوشكت دموع راشد العصية أن تطفو إلا أنه زجرها.. فقد تكون دموع  
فهمى وفاء لصداقة قديمة، واعتذارا عن موقف سابق، أو أخوة صمدت  
فى وجه الأحداث. أما دموع راشد فلن تكون إلا ذلة واستكانة وضعفا،  
ولن يفهم فهمى أنها إنما انهمرت اكبارا للانسان حين يعلو على  
الانسان.

- لقد أصبح هذا البيت من نصيبى مقابل دين فى الأوراق مقداره  
عشرون ألف جنيه. هذه أوراق الرهن اقرأها سعادتك.

- وتريد البيت الآن؟

- أريدك أن تقرأ الأوراق ياسعادة الباشا.

ونظر راشد فى الأوراق نظرة سريعة كانت كافية لمن هو فى مثل  
خبرته. وقال وهو يرد الأوراق إلى فهمى.  
- نعم فعلا.

## □ نفوشر من ذهب و نيلاس

- هل ينقصها شىء؟
- لا أظن.
- أعد النظر إليها ياسعادة الباشا واقراها على مهل. ربما كان ينقصها شىء.
- أعتقد أنها كاملة يا فهمى لا ينقصها شىء.
- سعادتك متأكد؟
- طبعاً متأكد.. وأنا على استعداد أن أسلمك..
- سعادة الباشا.. أرجوك تأكد من الأوراق.
- يا أخى إذا كنت تريد أن تتسلم البيت الآن، فأتنا على استعداد.
- سعادتك تقصد أن تخرج من بيتك الآن ومعك أسامة والسيدة والدتك المريضة والسيدة حرمك.
- هذا ما تقوله الأوراق وما يقوله حقل.. الرهن حيازى لمجموعة الدائنين. وقد قسمت الرهن على أنفسكم فيما بينكم، وأصبح البيت من نصيبك بموافقة جميع الدائنين.. هذا لاشك فيه.
- وهذه هى أوراق الدين والحيازة ياراشد باشا.
- وفى حركة ثابتة وثقة مزق فهمى الأوراق ثم أعاد تمزيقها.
- فهمى ماذا فعلت.. أنت بهذا تضيع حقل فى الدين؟
- وما عشرون ألفاً عندك.. ادفعها حين تشاء، أولاً تدفعها إذا شئت.
- إنما أنا لا أخرج راشد باشا أو أسرته ووالدته من البيت الذى عاشوا فيه عمرهم كله.
- فهمى! أهذا معقول؟
- هذا هو المعقول. فلنختلف ولأحاربك وتحاربنى، ولكن راشد أدهم لا يخرج من بيته أبداً.



## □ نفوشر من ذهب ونحاس

- فهمى! هل هناك كلام يوفيك حقا؟  
- حاولت أن تكون السيارة ضمن دينى فلم أستطع.  
- لا يهم.. لا يهم شىء.. أنت كما أنت الآن أمامى أعز من كل المال  
الذى فقدت.  
- أنا لن أبقى لأسمع هذا الكلام.. السلام عليكم.  
- والقهوة؟  
- ستصبح شربات حين أرى الوقت مناسباً.

\* \* \*

إن للسماء طرقاً عجيبة. قد أتصور أن يفعل أى دائن ما فعل فهمى  
عبد الحميد. لو أن الإنسان عرف السبل التى تستعملها السماء لأصبح  
إلها. ولكن السماء تحب أن تذكره دائماً انه إنسان لا يزيد، وهناك من  
فوق سبع سموات رحمة ترسل حنانها وشعاعها بالطريق الذى تراه  
مناسباً أو طبيعياً، لا الطريق الذى يتصوره مجرد الإنسان.. وهيهات  
لمجرد الإنسان أن يفهم.

كيف يمكن لفهمى عبد الحميد أن يكون ذلك الملاك، وهو هو نفسه  
الذى ارتكب من الأعمال ما يعف الشيطان عن ارتكابه.  
كيف يستطيع الملاك والشيطان أن يعيشا معاً فى كيان واحد، والذى  
يسمى إلى ما تصنعه الملائكة هو نفسه الذى يتردى إلى ما لا تهوى إليه  
الشياطين.. «ألهمها فجورها وتقواها».

فالذى يصنع الخير هو خير من الملائكة. لأنه يصنع الخير باختياره لا  
بالطبيعة المواتية التى لا تعرف الملائكة غيرها. والذى يتردى إلى فجورها  
يهوى إلى حضيض أسفل من حضيض الشياطين، لأنه هو نفسه كان  
يستطيع أن يختار الطريق الآخر الذى لا يستطيع أن يختاره الشيطان..



## □ نفوس من ذهب ونحاس

والهمها فجرها وتقواها. قد يغلب الفجور مرة، وقد تغلب التقوى مرة، ويصبح الانسان تركيبا عجيبا، لا هو شر كله، ولا هو خير كله.. وإنما يتمازجان فيه فى غير تنافر، ويصبح كل من العنصرين مادة فى كيان الانسان ليظل إلى الأبد ذلك اللغز الذى حارت فيه مراحل البشرية على مر التاريخ.

\* \* \*

قالت خديجة:

- أبيع مجوهراتى.

- هى فى البنك باسمى وأغلب الظن أنه حجز عليها هى أيضا.

- أكلم أبى.

- أباك؟

- أنه أبى.

- اسمعى هذه المشكلة ملكى أنا، وأنا الذى صنعتها، وأنا الذى يجب أن أتولاها وحدى.

- لتكون أنت من صنعتها، ولكن أنت رب بيتى، مسئوليتى عنك قدر مسئوليتك عنى.

- لو كان لك مال مستقل لكان الذى تقولينه طبيعيا.

- ولكن أبى مسئول عنى.

- سقطت عنه هذه المسئولية منذ تزوجتك.

- العلاقات الانسانية ليست عقودا تسجل فى المحكمة. يغضب أبى

أشد الغضب اذا لم أقل له.

- غضبه سيكون أكبر اذا قلت له.

- منك؟

## □ نفوشر من ذهب و نكاس

- من نفسه.
- من نفسه؟
- انه لا يستطيع أن يصنع شيئا .. دخل أبيض يكاد لا يقيه.
- ما هذا الذي تقول؟
- حقيقة أنا أعرفها قبل أن أتزوجك، وتأخرت أنت في معرفتها.
- ولكن لابد أنه سيعرف كل شيء عن حكايتنا.
- أنت طيبة يا خديجة.. هل تظنين أن أحدا في مصر سيجعل ما حصل لي!!
- فهو الذي سيكلمني.
- ربما.
- انن فسيغضب لأنني لم أكلمه.
- أعلم ذلك.
- ماذا أقول له؟
- قولي أنك عرضت على مساعدته فرفضت ذلك رفضا قاطعا.
- ولكن سيكلمك.
- لا تخافى.. فإن كنت فقدت مالى فإنى لم أفقد لباقتى.

\* \* \*

- وقالت أمه وهى فى فراش مرضها:
- راشد لا تخف.
- أنا غير خائف.
- مصاريق بيتك على.
- وأنت ما ذنبك؟
- كنت أستطيع أن أعطيك أرضى فتبيعها، ولكنى أخاف أن تأكلها

## □ نفوس من ذهب ونحاس

ديونك. سأبقى أرضى لأصرف منها على البيت.

- هانم أفندي لا أدري ماذا أقول لك.

- لا نقل شيئاً. لن أعيش طويلاً، والأفدنة القليلة التي ورثتها عن أبيك

ستؤول إليك. ولكنني أريد أن أعيش ما تعودت أن أعيش لا أسأل أحداً شيئاً.

- سيكون لك هذا على كل حال.

- أنك طول حياتك تتفق على وعلى ملابسى، وكنت أنفق أنا إيرادى على

من يستحقون الصدقة.. وعندي بعد ذلك بقية، وإيراد الأرض سيكفى

مصاريف البيت، فلا تحمل هم هذه الناحية ودبر أنت حالك فى غير هذا.

\* \* \*

وقال عثمان باشا فكرى.

- لقد أكرمت خديجة منذ تزوجتها وأصبح بينكما الآن أسامة، وهو

حفيدى وأنا مسئول عنه وعن ابنتى وسنى. وتصرفاتك الكريمة مع

ابنتى تتيج لى أن أكون مسئولاً عنك أنت أيضاً فدعنى أقدم مساعدتى.

- أنا دائماً أعتبرك أخى الأكبر أن لم أعتبرك والدى، وأنت فى مكانه

عندى، ولكنى أحب أن أقوم بنفسى بهذا العبء.

- أساعدك فى أيامه الأولى.

- وأصبح أمام زوجتى شخصاً ضعيفاً لا يستطيع أن يواجه الأحداث.

- لقد عشت عمرك غنياً.

- فدعنى أجرب أن أكون فقيراً.

- أمرك.

\* \* \*

## □ نفوش من ذهب ونحاس

- وقال أسامة:
- بابا ماذا حصل؟
- ماذا حصل؟
- فى البيت حاجة غريبة.
- مثل ماذا؟
- لا أعرف.
- هل نقص شىء؟
- السيارة.
- وأنت مالك بالسيارة؟
- أنا فقط لا أراها.
- أصبحت قديمة.
- اشتريت سيارة جديدة.
- ليس الآن.. هل هذا هو كل التغيير؟
- طبعاً لا.
- وماذا أيضاً؟
- لا أعرف.. ستي ليست كما تعودت أن أراها.
- مريضة.
- أنها مريضة من زمان ولكنها ليست هى.
- وماذا أيضاً؟
- وكفاية.
- وماما؟
- لا.. ماما لم تتغير.

## □ نفوش من ذهب ونحاس

- وأنا؟
- أنت؟! أنت؟ لا أعرف.
- والخدم؟
- لا أعرف.. يمكن ربما.. نعم.. افكرت كانوا دائما يهزرون معي..
- الآن دائما التكشيرة على وشهم.
- كل هذا رأيت.
- لا أعرف.. تعرف يا بابا ساعات أحس بأشياء ولا أعرف كيف أقولها.
- .. مثل ماذا؟
- لو كنت أعرف كنت قلت.. لا أعرف.. فيه شيء ولكن ما هو.. لا أعرف.
- ستعرف يا أسامة.. سيأتي يوم وتعرف.

\* \* \*

بدأ حياته الجديدة بداية لم تر مثلها القاهرة ولا أحسب أنها سترها.. كانت هناك عمليات تجارية صغيرة تعود أن يتركها ولا يعنى بها ليهتم بعمليات أكبر. عاد إلى هذه العمليات، ولكنه كان يريد أن ينتقل بسرعة.. وكان قد انتوى أمام نفسه ألا يستغنى عن أحد من الخدم أبدا، فقد استقروا في البيت منذ سنوات طوال، وأصبح من غير الممكن أن يستغنى عن أحد منهم. كان هناك شعور يجمعهم أنهم أسرة واحدة لعل أحد منهم لم يفصح للأخر بهذا الشعور، ولكنه راسخ في نفوسهم ربما إلى درجة عميقة وثابتة ومؤكدة حتى ليصبح من العبث أن تكون موضوع حديث.

وهكذا بقى عبده خليل سائق السيارة دون أن تكون هناك سيارة، وسرعان ما نبتت الفكرة في ذهن راشد باشا.

## □ نفوش من ذهب ونداس

والذين كانوا يعيشون فى القاهرة هذه الأيام أصبحوا يرون منظرا عجيبا.

سعادة الباشا يركب موتوسيكل له مقعد جانبي يطلقون عليه سيدكار.. يقود الموتوسيكل سائق غاية فى أناقة المظهر يلبس البذلة التى كانوا يطلقون عليها بذلة طلب، وهى تمتاز بسترة مقفلة عند الرقبة زرقاء داكنة الزرقة على حوافيها قطان أحمر، والبنطلون منتفخ من أعلى تلفه بعد ذلك رقبة طويلة لحذاء جلدى فاخر.. هكذا كان ملابس عبده خليل وهو يقود السيارة الباكار نفس ملابس عبده خليل وهو يقود الموتوسيكل السيدكار الذى يركب سعادة الباشا فى مقعده. حتى اذا أراد الباشا أن ينزل فى مكان ما لبعض شأنه سارع عبده خليل يفتح باب السيدكار فى عظمة ووقار، وينزل الباشا فى سمته المهيب الذى تعود أن ينزل به من السيارة الباكار.

والباشا وهو يصنع هذا لا يفكر لحظة أنه يفعل شيئا يدعو إلى الدهشة، وفيم الدهشة.. ان الباشا يعتبر السيارة وسيلة لا غاية. والموتوسيكل وسيلة تؤدى الغرض نفسه. وراشد باشا برهان الذى كان يركب السيارة الباكار هو نفسه راشد باشا برهان الذى يركب الموتوسيكل السيدكار.

## □ نفوش من ذهب و نيلاس



## □ نفوش من ذهب ونحاس

دق جرس التليفون بمنزل زكريا باشا .  
- أنا عبدالقادر ابراهيم وكيل وزارة الخارجية يامعالى الباشا .  
- أهل عبدالقادر بك، أهل وسهلا .  
- متى أستطيع أن أرى معاليك؟  
- وقتما تشاء .  
- فى أسرع وقت اذا أذنت سعادتك .  
- الآن إذا شئت .  
- عشر دقائق أكون عند معاليك .  
السن والثقافة والتجارب جعلت زكريا باشا يبدو هادئا وهو  
ينتظر وكيل الوزارة، ولكنه كان واثقا أن شيئا يتصل بابنه عدلى فى  
طريقه إليه .. وقد تعود منذ سنوات ألا يتصل شىء سعيد بابنه  
عدلى . أبت عليه تجاربه أن يفكر فيما يمكن أن يكون هذا الشىء .  
وجاء وكيل الوزارة .



## □ نفوش من ذهب ونحاس

عدلى يسهر كل يوم إلى الفجر يلعب القمار فى جنيف، ولا يكفيه  
أى مال، بل أن صحته وهو الشاب لم تعد تستطيع أن تتحمل ما  
يصنعه بها.

مرتبه وإيراده الذى يذهب إليه هناك يقذف به جميعا على مائدة  
القمار. بل أنه حتى لا يتناول من الطعام ما يقيم أوده. فهو يفضل  
أن يلعب القمار عن أن يتناول الطعام الذى يحتاج إليه جسمه. فهو  
لا يذهب إلى الفندق إلا بعد الظهر لينام ساعتين ثم يستأنف. وكل  
هذا ما كان يحتاج إلى وكيل الوزارة ليأت به إلى زكريا باشا.

لقد نضب المال من يد عدلى فإذا هو يطلب من الفندق الذى ينزل  
به أن يصرف له شيكا يقدر بالنقود المصرية بحوالى خمسمائة  
جنيه. وقد قصد أن يطلب صرف الشيك فى يوم سبت حتى تكون  
البنوك مغلقة فى يوم الأحد، ظاناً أنه يستطيع أن يكسب فيودع  
المبلغ فى البنك قبل أن يقدمه الفندق.  
لم يكسب.

وطرده الفندق، وطالب السفير المصرى بالشيك وحساب الفندق.  
دفع السفير. ولم يشأن أن يخبر الوزير لأنه يعرف أنه صديق  
الباشا، وأخبر وكيل الوزارة.

طبعاً دفع الباشا كل ما أخبره به وكيل الوزارة، وما أن ودعه إلى  
الباب حتى عاد إلى التليفون ملهوفاً:  
- راوية.

- أفندم سعادة الباشا.

- تعالى حالا.

وحين جاءت.

## □ نفوثر من ذهب و نكاح

- كم ترسل لك دائرة عدلى كل شهر.
- وتسمرت عينا راوية على الباشا، وتقلصت خلجات وجهها، وحاولت أن تتماسك بكل ما يطيق البشر أن يتماسكوا، ولكن ههيات لدموع مثلها أن تفيض، لقد طفرت إلى عينيها سكبا وراء سكبا
- لا عليك يا ابنتى.. لا عليك خذى.
- لا أخذ شيئا ياعمى.. لا يمكن.
- ستأخذين.
- ألا يكفى أنك ترى هالة وانك رفضت أن تأخذ نصيبك من تركة نينا نعيمة هانم؟
- هذه أشياء ليس من شأنها أن تسقط واجب زوجك فى الانفاق عليك.
- هذه أخطاؤه وليس من المفروض أن تتحمل أخطاءه.
- ومن يتحمل أخطاء الأبناء إلا آباءهم.
- ألا يكفى ما تحملته أنت من عدلى؟
- أنا لم أتحمل شيئا.
- بعد كل هذا؟
- هذه كلها أخطائى أنا.. مادمت لم أحسن تربيته، فعلى أن أتحمل كل ما يفعل.
- من قال هذا؟؟ ياعمى الناس طبائع.. وعدلى طبعه هكذا ولا ذنب لك أنت!
- يا ابنتى أنا لم أقم بواجبى نحو عدلى.. وأنا الآن أحاول أن استدرك الخطأ الذى وقعت فيه.. خذى.

## □ نفوس من ذهب ونحاس

- لا يمكن.
- أنت تعرفين إلى أى حد يحترمنى أبوك.
- أعرف.
- لا تضطريننى أن أدعوه وأعطيه ما يجب أن تأخذه أنت.
- وقبلت راوية المال. وانصرفت.
- ولكن قصة عدلى لم تتم فصولا.

\* \* \*

ما هو إلا شهر وبعض شهر حتى جاءت الأنباء أن عدلى سقط مريضا بعد هذا الجهد الذى أنهك به جسمه، واضطر الباشا أن يصحب راوية إلى سويسرا.

وهناك وفى حجرة من فندق فقير التقى الباشا مع ابنه عدلى لأول مرة بعد ما صنعه عدلى تجاه أبيه. وهناك لم يجد الباشا من ابنه إلا بقية حطام لم يترك القمار منه شيئا.

كان موقف الابن ذليلا حتى لم يحاول أن يعتذر، وكان موقف الأب أليما حتى لم يذكر من هذا الشيء الذى أمامه إلا أنه ابنه وأنه مريض.

سرعان ما عرف الأب وعرفت راوية أن مرض الصدر هو ما يعانيه عدلى.

فى مصحة فى ليزين على جبل بالقرب من لوزان استقر عدلى، ودفع الباشا نفقات العلاج، وأعطى لراوية ما يكفى لفترة أخرى، وسافر إلى القاهرة بالباخرة.

وفى القاهرة استقبلته من راوية برقية.. لقد مات عدلى.

## □ نفوثة من ذهب ونداس

\* \* \*

منذ ذلك اليوم أصبح زكريا انسانا آخر.. كان يخشى أن يبدى حبه ليحيى ابنه، ويخشى أن يظهر ضعفه لهالة حفيدته، فاعتزل عنهما الحياة بعد أن أصر أن تقيم معه زوجة ابنه راوية. ومنذ ذلك اليوم أصبح زكريا باشا يمثل لابنه وحفيدته شيئا مقدسا لا سبيل إلى الحديث معه، وإنما تصل إليها الأوامر منه والنقود وكأنه طيف غير انساني لا صلة له بالبشرية. وكان يحيى فى تلك السن التى يتشكل فيها الانسان ليصبح رجل الغد.

وأما هالة فلاهية يصغر عندها كل شىء ليصبح مجرد حدوتة أو أداة تسلية.

لم يكن زكريا يتوقع أن تطول به الحياة حتى يفقد عدلى، وأصبح يخاف على ابنه وابنته.. أن يتعلقا به ثم يخذلها ويتركهما فينهار صرح فى نفسيهما كبير. كان يريد حياته أن تكون على هامش حياتهما. ولو أنه أراد أن يجتمع بهما لأعجزته نفسه، كان موت عدلى بالنسبة إليه فى سنه هذه نكبة لم يحتملها.

كان يدري أنه لم يحسن تربيته، وكان يدري أنه لا يصلح لشىء، وكان يدري أن ابنه طعنه أو حاول أن يطعنه بهذه القضية التى رفعها. ولكنه أيضا كان يدري أنه ظل لفترة طويلة من حياته ابنه الوحيد. وأن أهميته قد زادت حين أتى له بهالة وحين أتى هو بيحيى. وكان يجعل فى حياة عدلى من بعده أداة أمن تصحبه فى رحلته إلى الحياة الأخرى. ولكنه مات.

ثم هو فى لحظة ينهار به هذا الأمن ولا يبقى من عدلى إلا أنه

## □ نفوش من ذهب و نكاس



## □ نفوشر من ذهب ونخاله

مات.. أما يكفى هذا. وسنة الحياة أن يدفن الابن أباه وويل للآباء.  
أو قل أن شئت ويل للحياة كلها إذا اختلفت هذه السنة فدفن الأب  
ابنه.

ينسى زكريا كل شيء ولا يذكر إلا أن ابنه مات، فتصبح مسالك  
الحياة أمام عينه مهوشة تافهة لا معنى لها.  
لا يختلف عنده طريق عن طريق. بل إنه حتى لم يعد يريد أن  
يختار ولا أن يدلى برأى.

هو لا يشارك فى السياسة. وهو لا يذهب إلى مكتب المحاماة وهو  
لا يجد فى مجلس الأصدقاء أنسا أو ترفيها. لم يبق من الأصدقاء  
إلا من يصغرونه. أما أتراب حياته ورفاق طريقه فقد مالوا واحدا  
بعد الآخر، وأقفرت من حوله الحياة التى كانوا يصنعونها معا.  
حتى السياسة التى كان من أعلامها اختلفت دروبها، وتغير  
رجالها فأصبح لا يفهم عنهم ولا يفهمون عنه. وحتى إذا فهموا فإنه  
لا يريد أن يدلى برأى.

وكيف يدري زكريا باشا أنه إذا أبدى آراءه فى تربية ولده  
وحفيده يكون قد قال الرأى الصواب. ومن يعرف الصواب والخطأ  
فى عصر هؤلاء. وكيف يستطيع أن يشارك فى تربية الأحفاد -  
فيحىي وان يكن ابنه خليف أن يكون حفيده - وهو لم يوفق فى تربية  
ابنه.

فى حجرته زكريا باشا، ان غادرها فساعة أو بعض الساعة،  
يحس بها أنه حى لم يميت ثم إلى غرفته يعود.  
ومن هذه العزلة اتخذت سهير وراوية أداة ارهاب للطفلين. وعند  
يحيى أصبح سمت الرجل كما ينبغى أن يكون الرجل هو هذا

## □ نفوشر من ذهب ونحاس

الباشا المنعزل. هكذا أصبح الأمر عند يحيى. أصبح يعتقد أن الرجل لا يكون رجلا إلا إذا لم ير أحدا ولم يره أحد وأصبح يظن أن الرجل العظيم - ومن أعظم من أبيه - يجب أن يكون صموتا لا يتكلم. فإذا تكلم فكلامه أمر، وإشارته لا يصحبها إلا الطاعة من الآخرين. هكذا صورت له أمه أباه وهكذا أكد أبوه هذه الصورة بوجهه ارتدى عليه الحزن، واحتضنته تجاعيد السنين، فأصبح بمزاج الألم، والأيام تكثيرة لا انبساط لها..

ربما استطاعت راوية أن تنجو بهالة من هذه الصورة. وهالة على كل حال بطبيعة جنسها لا تصبو أن تكون رجلا.. ورجلا موهوبا. ولكن راوية خشيت على ابنتها أن يجعلها موت أبيها جانحة إلى الحزن في حياتها، فراحت تتيج لابنتها كل فرصة للبهجة، ولم تكن تستعمل اسم الجد إلا حين ترى أن هالة تبالغ في طلب البهجة، وكان ذكر اسمه مصحوبا بالرغبة التي تريدها الأم، وتلصقها به وهو فيها مظلوم، كافيا أن يرد هالة إلى ما تبتغيه الأم من الاعتدال.

\* \* \*

كان يحيى فى السادسة عشرة حين مات أبوه زكريا باشا. وفجأة وجد يحيى نفسه قد انتصب رجلا على رغم أنفه. فالخدم لا يذكرونه إلا بلفظ البك. هكذا مفردة دون اسم يحيى يسبقها أو صفة الصغير تلحق بها.

أصبح هو البك. ليس «بك» وإنما البك.. كاملة خالصة له. فقد أرادت سهير أن تجعل منه رجل الأسرة الجديدة، ولم يكن بد من أن تحيطه بكل هالات التوقير إذا كانت سنه وثقافته لا تستطيعان أن تحيطاه بشئ..

## □ نفوس من ذهب ونداء

وحين مر بعض الوقت قالت راوية:

- ألا ترين من الأنسب أن أرجع إلى بيتي؟

- لماذا

- أنت تعرفين أن بيتي مغلق، ومن الطبيعي أن أعيش فيه مع

ابنتي.

- وما الطبيعي في ذلك؟

- كانت هالة مع جدها.. أما الآن.

- شأنك عجيب يا راوية. هي الآن مع عمها في القرابة، ومع أخيها

في السن، فأى عجيب في ذلك؟

- ربما يحب يحيى أن يعيش وحده.

- اسمعى.. أنا وأنت لم نختلف طوال هذه السنوات وأصبحنا

كاخوات، وهذا البيت بيتي وبيت يحيى معا. وقد تعودت الحياة

معك، كما أعتقد أنك تعودت الحياة معي، وليس من الطبيعي أن

تعيشي وحدك مع هالة وبيت عمها موجود، وإذا كان الباشا قد

مات، فإننا نستطيع أن نجعل من يحيى رجل البيت ونعيش معا..

ودعينا لا نعود لهذا الحديث.

- على شرط.

- قبلته.

- أتعرفينه؟

- كنت لا تشاركين في نفقات البيت، والآن تريدان أن تشاركني.

- فهل تقبلين؟

- نعم أقبل.

\* \* \*



## □ نفووش من ذهب و نكاح

من حسن حظ هالة، ومن حسن حظ يحيى، أو من سوء حظه لا أدري أن هالة جاء لها خطيب.  
أما أن هذا من حسن حظها فلاشك فى ذلك. فإن هالة لم تستطع أن تتصور يحيى هو البك. فقد عاش عمره رفيق الملعب وكانت تسخر سخرية شديدة من جو التوقيير الذى تشيعه حوله أمه وتشتد السخرية بها اذا رأت أمها تشجع هذا التوقيير. ولم تكن تحتفظ بسخريتها لنفسها وإنما. كانت تفجرها كلمات لا تتحرز أمام من تنفجر. وكثيرا ما كان ذلك يحدث أمام الخدم فترسم على أفواههم بسمات تنال لاشك من الهيبة الصارمة التى ينبغى أن تفرش تحت أقدام الأمير الصغير.. البك..

وكان يحيى يجن من سخرية هالة، وكانت أمها تحاول عبثا أن تردعها.

ولكن هالة مسكينة. فما تستطيع أن تتصور يحيى كما تريد السيدتان أن ترسماه؟ دون أن تضحك ضحكا ساخرا يتشكل فى كثير من الأحيان كلمات لاذعة.

وهكذا لم يكن عجيبا أن يرحب الجميع بذلك العريس الذى تقدم للزواج من هالة.

ولم يكن عجيبا أيضا أن تكون التحريات التى أجروها عنه سريعة مبتسرة، تتسم بالتعجل أكثر مما تتسم بالجدية والتعمق.

كل ما عرفوه عنه أنه خريج التجارة العليا، وأن أباه تاجر من أواسط التجار لا هو بالغنى الفاحش الغنى، ولا بالفقر المدقع.

العريس اسمه جابر عبدالبديع الشحات فى السابعة والعشرين من عمره، ويعمل مع أبيه فى التجارة.

## □ نفوشر من ذهب ونحاس

له أخ أصغر منه بسنة واحدة، وقد تخرج فى كلية الحقوق، واسمه حامد.. وحامد يعمل بالأعمال الحرة فى غير تجارة أبيه بجانب عمله بالمحاماة. والحقيقة فى أمر حامد أن مكتبه ستار لأعماله التجارية. فاسم المحامى ومكتبه يخلقان حوله جوا يستطيع عمله التجارى أن ينتفع بهما. وهو فعلا يعمل بالمحاماة، ولكنه يختار قضاياها ولجابر وحامد بعد ذلك أختان تكبرانهما ومتزوجتان، ولهما أبناء، أما الكبرى فاسمها حميدة. وأما الصغرى فاسمها رشيدة.

وحين جمع الفرح الأسرة فى منزل زكريا باشا أحست راوية أنها تعجلت. ولكن هالة لم تفكر فى عقد مقارنة بين أسرتها الجديدة وأسرتها التى عاشت فيها، وإنما هى سعيدة أن تتزوج فى هذه السن الباكرة، ويعجب بها شاب أنيق مثل جابر. ولم تكن تجربتها تسمح لها بأن تقدر معنى هذه السلسلة الذهبية الضخمة السمكة المتوحشة التى يعلقها أبوه عبدالبديع الشحات على صدره، ولا معنى الفستان الأحمر الذى يسمون أحمره بالأحمر الانجليزى الذى ترتديه حميدة، ولا معنى الفستان الفستقى اللامع الذى ترتديه رشيدة.

أما راوية وسهير فقد فهمتا تماما أى أسرة ناسبتها ابنتهما المسكينة هالة. ونظرت كل منهما إلى الأخرى نظرة تقول «لماذا» لو أن هالة فقيرة وبحثت عن بعض غنى لكان ذلك مفهوما ولو أن السن تقدمت بها فشارفت الثلاثين، لكان هناك بعض العذر. لو أنها أحبت جابر وأحبها لأصبح الأمر لا يحتاج إلى تبرير. ولكن هكذا وبدون أى أسباب. لماذا؟

## □ نفوشر من ذهب ونفاهر

وفى لحظة واحدة اتجهت العيون منهما إلى البك.. إلى يحيى..  
ودمعت عينا راوية ولم تخف الدمعات. فالأمهات اللواتى يفقدن  
أزواجهن مباح لهن دائما أن يبكين فى أفراح أبنائهن أو بناتهن.  
ولكن سهير فهمت معنى الدموع من راوية، ووثقت من فهمها  
وأطرقت خجلا.. لقد جعلها حرصها على أن تجعل ابنها «بيكا» لا  
تكتنفه السخرية تنصح بتعجيل هذا الزواج دون ريث من تأمل أو  
بحث، أو تفكير.

كان فى الفرح كل أصدقاء راوية وسهير. فلم يكن عجيبا أن تكون  
شهيرة سيدة مرموقة فى الفرح تذهب وتجىء وتدعو إلى الطعام،  
وتمر بجانب الخدم وهم يقدمون الحلوى والشربات. بل لقد تولت  
هى نفسها تقديم علب الحلوى إلى المدعوين مع راوية وسهير.  
وفى الفرح تعرف شباب بشباب.

تعرف حامد بيحيى وشهيرة وبهيرة وتعرفوا به ضمن من عرفوهم  
فى ليلتهم تلك.

كان يحيى فى فترة هذا الفرح قد اتخذ قرارا خطيرا، وزاده هذا  
القرار شعورا بالأهمية أن كان هذا الشعور عنده يحتاج إلى مزيد.  
كان يحيى يتعثر فى التعليم حتى بلغ الثالثة الثانوية وهو فى  
التاسعة عشرة من عمره، وكان مازال المدى أمامه بعيدا. فقد كان  
لابد له أن ينال الثقافة ثم التوجيهية. وأدرك أن هذا أمر بعيد المنال  
أن لم يكن مستحيلا.

وهنا يقف علماء النفس حائرين. فهناك من يقول إن جو الأهمية  
الذى تفجر حول يحيى كان خليقا أن يجعله يذاكر، ويصبر نفسه  
على الجهد، لأنه لا يليق بالرجل المهم أن يسقط أمام الخدم والأتباع



## □ نفوس من ذهب ونحاس

الذين لا يقولون عنه إلا البك.

وهناك فريق من هؤلاء العلماء يقول ان هذا الشعور بالأهمية مع عدم الادراك لقيمة الثقافة يجعله يظن أن التعليم شئ ثانوى لا يستحق هذا العناء. وأن البك لا يجوز له أن يصنع ما يصنعه عامة التلاميذ، ويذاكر كما يذاكرون، وينجح كما ينجحون.

وهكذا تجد أن علماء النفس هؤلاء كثيرا ما يزيدون الأمور تعقيدا. وكثيرا ما تنغلق أمامهم المسالك، فلا أحد منهم يعلم إن كان على خطأ أم كان على صواب.

ولكن يحيى لم يفكر على كل حال أن يسأل علماء النفس، ولا أن يستخبر كتبهم وهو أيضا - وهو البك - لم يكن محتاجا أن يستشير أحدا، فحزم أمره، وقرأه وأصدر قراره.. لا تعليم..

وقرار البك لا مرد له.. وأدركت أمه أنها لن تستطيع أن تجادله فهي تعلم أن البك الذى صنعته وجعلت من حولها يصنعونه معها لم يعد صالحا للنقاش.

وهكذا أصبح البك بك رسميا، وإن لم تصدر بشأن رتبته براءة من القصر الملكى. وهو أيضا فى غير حاجة إلى براءة القصر الملكى.. لأن الوهم الذى يحيط به ضخم ضخامة الحقيقة نفسها.

فالبراءة بالبكوية لن تزيد حقيقة بكويته ثبوتا لديه أو لدى المجتمع الذى يحيط به.

وهكذا تثور حول يحيى بك مشكلة أعيت الأجيال، هل الحقيقة هى ما يعتقد الانسان، أم أنها معنى مجرد ليس يعنى بمن يعرفه أو من يجعله. وإن كانت معنى مجردا فما قيمته اذا لم يجمع عليه الناس.

ولكن هل كل حقيقة يجمع عليها الناس، ودعنا نسال أيضا هل كل

## □ نفوس من ذهب و نداء

ما يجمع عليه الناس حقيقة؟ . وما لنا لا نسأل أيضا وهل أجمع الناس على شيء؟

فإذا قلنا إن هناك غالبية كاثرة تجمع على أمر معين، وإن هناك أقلية لا توافق الاجتماع. فإنه لابد لنا أن نسأل مرة أخرى: هل من الحتم أن تكون أغلبية الناس معتنقة الحقيقة؟ وأن الأقلية لا قيمة لها ومن يحكم في هذه القضية. إن هناك رأيا معروفا أن الحقيقة واحدة لا تتعدد. ولكن هل عرف أحد هذه الحقيقة الواحدة، ولكن أحدا لا يستطيع أن يعرف أين الحقيقة الخالصة في هذا العدد الكبير من الحقائق. ليس غريبا إذن أن تكون الحقيقة ضائعة بين البشر الذي ركب من عقل وشهوة، ومن فكر وعاطفة، ومن حكمة وهوى. فبين التيارين المتعارضين تنزوى الحقيقة، ويعتقد كل إنسان أن الحقيقة التي استقر عليها رأيه هي الحقيقة. فلا بأس إذن أن يعتقد يحيى أنه بك فعلا رغم افتقار رتبته إلى براءة رسمية. وعرف حامد أن البك في هذا البيت معناها يحيى، وعرف شهيرة وأعجب كل الاعجاب بابتها بهيرة.

وكان بين المدعويين أيضا وجدى. فإن أردت أن أنكرك به فلا بد أن أنسبه إلى أمه، لأنها الجانب المجمع عليه من أبويه أنه ابن نجاة. وهو عند كل من يعرف نجاة ابن عزت بهادر، وعند القضاء الذي أصدر الحكم في قضيته ابن عبدالحسن باشا وفيق.

وكان وجدى فى نضارة الشباب وفى فتوته يتمتع بجمال أخاذ سامق ويتمتع أيضا بذكاء خارق يعرف هو بخلقه الخاص وظروفه التى أحاطت بولادته ونشأته، والقضايا التى وجدها تتلقفه مع مهد الطفولة كيف يستعمل هذا الذكاء وأين يستعمله. وهو فى أعماله

## □ نفوس من ذهب ونحاس

لذكائه هذا يستعمل كل ما لديه من أصل ممزق بين الحقيقة التي يكاد يلمسها بالشبه بينه وبين الذى يناديه بعمه عزت وبين الوهم الذى أكسبه القضاء حجية الشيء المحكوم فيه. كما يجعل ذكائه يستخدم هذا الجمال الذى لا تستطيع عين أن تعبره دون أن تقف عنده وتطيل الوقوف.

وكانت خديجة وراشد باشا وأسامة بين المدعويين. راشد باشا قد عادت إليه ثروته، ولكنه حولها إلى عمارات باسم أسامة مباشرة وقطع ما بينه وبين الريف تماما فباع عزبته التى استخلصها من أيدي الديانة، وابتاع بثمنها عمارات، فقد أدرك أن وحيدته الذى ربح بالقاهرة لن يستطيع أن يستتب من الأرض ريعها. كما أدرك أن ابن خديجة التى عاشت عمرها بالقاهرة لن يكون فلاحا، يفهم كيف يعامل الأرض. وقد حقق أسامة ظن أبيه فإذا هو طالب يحب العلم، وإذا هو شاب يحب القراءة، وهكذا لم يكن غريبا أن يجد نفسه بين شباب الفرع يقف على جزيرة مستقلة به، وإن كان ذكاؤه قد مكنه أن يشارك الشباب من أمثاله فى أرضهم وديانهم.

جمع الفرع قوما كثيرين وتعارف منهم من لم يكن من قبل متعارفا، والتقى الأصدقاء يصلون حديثا كان بينهم ثم انقطع، أو يدأون حديثا هو آخر الأمر إلى انقطاع.

## □ نفوس من ذهب و نیکس



## □ نفوش من ذهب و نكاس

اتصلت نجاه بشهيرة فى التليفون تحدد بينهما موعد:  
- نحن بيننا صداقة عمر..  
- ما لزوم هذا الكلام يا نجاه.. أنت تعرفين مكانتك عندي.  
- أريد هذه الصداقة يا نجاه أن تصبح قرابة.  
- هى الآن أكثر من قرابة.  
- من غير لف أو دوران أريد بهيرة لوجدى.  
- والله يا حبيبتي أنا تحت أمرك، ولكن بنات هذه الأيام لهن رأيهن الخاص. وأكذب لو قلت لك إن لى رأيا، أو إن لأبيها رأيا.  
- أنا عارفة.. وعارفة أيضا أن جمال وجدى لا يماثله جمال، وأنت عارفة غناه.

\* \* \*

وقالت شهيرة لزوجها سامى حسنين:



## □ نفوشر من ذهب و نكله

- الولد غنى وحلو، ولكنه دائما مع النسوان، وسمعت أنه يلعب القمار.. وحكاية المحكمة هذه ستظل تلاحقه.

ولم يكن سامى فى حاجة أن يقول لها الأمر أمر، فقد كان يدرك أنها تكلمه لتفكر بصوت مرتفع، وليس لأنها تريد رأيه. فهو عندها بلا رأى.

لم تشأ شهيرة أن تخبر ابنتها عن هذه الخطبة. فهي لا تحتاج إلى رأيها هي أيضا. وإن كانت قد أنبأت بهيرة أن الرأى رأى ابنتها. فما كان هذا منها إلا لتعطى لنفسها فرصة لتفكر.

\* \* \*

وقالت بهيرة لأمها:

- لماذا لم تقولى لى شيئا حتى الآن؟

- وماذا تريد أن أقول؟

- ألم يخطبنى أحد؟

- اذن قد عرفت؟

- طبعا.

- من قال لك؟

- أنا موافقة على هذا الزواج.

- لن أخبرهم بالموافقة حتى تفكرى.

- لقد فكرت.

- وماذا علينا أن ننتظر؟

- ولماذا ننتظر؟

- يتهيا لى أن هناك خيرا منه.

## □ نفوس من ذهب و نبال

- الذى أريده أنا هو أحسن زوج لى.
- لا يفرك الجمال.
- لا شىء يغيرنى.. كل ما فى الأمر اننى أريده وهذا يكفى.
- ومع ذلك سأنتظر.
- شأنك.

\* \* \*

- وطلب عبد البديع الشحات موعدا من سامى حسنين:
- توكلنا على الله.
  - على الله التوكل.
  - مد يدك.
  - تحت أمرك.
  - نقرأ الفاتحة.
  - على ماذا؟
  - فاتحة بهيرة بنتك على ابنى حامد.
  - أه! هكذا؟
  - وماذا فى هذا.. لقد ناسبنا زكريا باشا حسام الدين.
  - ومن غير نسب زكريا باشا أنتم ناس أفاضل يا عبد البديع بك.
  - كثر خيرك. فما التردد إذن؟
  - أليس لهذه البنت أم؟ وهى أليس لها رأى؟
  - ومنذ متى يكون للحريم رأى يا سامى بك.
  - نعم.
- كانت الكلمة بعيدة كل البعد عن حياة سامى فأطرق قليلا ثم قال:

## □ نفوس من ذهب ونحاس

- لابد من رأى الست والبنت يا عبد البديع بك.. الدين يقول هذا.
- أمرك.. ولك أن تسأل عن حامد.. محام قد الدنيا.
- وأيضا تاجر واع ويكسب من الهوا.
- ربنا يهيأ الخير إن شاء الله.

\* \* \*

وذهبت شهيرة إلى خديجة وحكت لها عن العريسین اللذين جاء  
فى وقت واحد تقريبا لبهيرة، واستطاعت أن تصوغ الحكاية وكأنها  
تستشيرها، وفهمت خديجة الإشارة.  
قالت للبك:

- يحيى أليس من الطبيعى أن تتزوج.
- حين أجد البنت المناسبة.
- عندى.
- من؟

- مال وجمال وأصل.

- أعرفها؟

- كل المعرفة؟

- فمن هى؟

- خمّن.

- بهيرة؟

- عجيبة.. كيف عرفتها؟

- أنا لست غيبا.

- لا.. الحكاية وراءها سر.. هل تحبها؟

## □ نفوشر من ذهب ونفاس

- اخطبها لى.

\* \* \*

ودون أن تستشير شهيرة ابنتها أو زوجها أعلنت الموافقة،  
وأدركت بهيرة أنه لا سبيل لها أن تعارض.. وإن كان وجدى قد  
استطاع أن يبهرها بجماله، ويكلمها بضع مرات فى التليفون فالأمر  
لم يصل إلى الحب الذى يجعلها تقف من أمها الذى يتبعها أبوها  
موقفا فيه تعنت. وكان اعلان القبول ليحىي يحمل فى ذاته اعلان  
الرفض لوجدى وحامد معا..  
وتم الزواج.

# □ نفوش من ذهب و نكاس



## □ نفوس من ذهب ونحاس

حين أعلن قانون الإصلاح الزراعي كان راشد باشا قد لقي ربه فلم يتح له أن يشهد نتيجة تصرفه الذي استبدل الأرض فيه بالعقارات، ولكن أسامة قرأ الفاتحة على روح أبيه شاكرًا له ما صنع، فقد استطاع أن ينجو به من الاستيلاء على أمواله.

أما يحيى فقد كان يملك أرضا كثيرة، وكان قد أنجب ولديه باسل وشهاب، وكان من الطبيعي أن يبحث عن محام ليقوم له بعمل الاقارات. ولكن قبل أن يبحث كان حامد عبد البديع بين يديه.

- سعادة البك النسب له حقوق.

- طبعًا.

- بمجرد نشر القانون جئت لأقوم عنك بعمل اللازم.

- ألف شكر.. فكرت أن أتصل بك ولكن مسألة الاتعاب جعلتني..

- مسألة ماذا؟

## □ نفوس من ذهب وناس

- وهذا ما كنت أخشاه.
- لا تقل هذا الكلام ياسعادة البيك.. عيب.. لا يصح.
- إذا لم تأخذ أتعابك فاسمح لى لن أستطيع أن أوكك.
- وهل بيننا أتعاب.. إنما بيننا نسب.
- هذا لا يمنع هذا.
- وماذا يقول أخى، وماذا تقول بنت أخى سعادتك هالة؟
- لن يعرف أحد منهم شيئاً.
- على كل حال هذه مسألة نتكلم فيها فيما بعد.
- وهو كذلك.
- كم فداناً عند سعادتك؟
- ما يقرب من ستمائة وستين.
- كل هذا؟
- نعم. فقد اشترى أبى أرضاً كثيرة.
- وكم عمارة؟
- هل القانون ذكر شيئاً عن العمارات؟
- لم يعد شىء مؤكداً.
- عندي ست عمارات.
- العمارات تكتبها سيادتكم باسم باسل وشهاب.
- وأن أكتب لكل منهما خمسين فداناً.
- طبعاً. ولكن الأرض الزائدة لها عندي ترتيب آخر.
- ماذا؟
- ليس من المعقول أن تسلمهم ثلاثمائة وستين فداناً.

## □ نفوس من ذهب ونبلس

- وماذا يمكن أن أفعل؟
- القانون أتاح لنا شهرا للبيع.
- نعم.
- أنا - إذا سمحت - سأذهب إلى العزبة وأبيع بقدر الامكان.
- لا بأس.
- غدا تكتب لى توكيلا.
- وهو كذلك.
- والباقي بعد البيع سأصرف فى شأنه.
- ماذا؟
- سأصرف فى شأنه.
- ماذا تعنى؟
- أعنى انك لن تسلم فداننا واحدا للحكومة.
- ماذا تقول؟
- يحى بك هل سعادتك محام؟
- لا.
- إذن اتركنا نشوف شغلنا.

\* \* \*

كان وجدى جالسا فى بيته وحوله جماعة عجيبة.. كيف عرفهم؟  
ومتى عرفهم.. هذه هى عبقرية وجدى وعبقرية إناهد..  
وكانت ناهد فكرى تزين الجلسة، ومعها الراقصة الذائعة الصيت  
سوسن. وما أظننى بحاجة إلى أن أذكر اسم والد سوسن فشهرتها  
قامت باسمها وحده دون اسم السيد والدها. وعلى كل حال فاسم



## □ نفوشر من ذهب وفضة

ايها إذا قالت ل يكون الاسم الحقيقي. فليس من المعقول أن تقول ان اسم أبيها هو عبدالدايم. ومادامت قد غيرت اسمها الأصلي الذي كان شلبية فقد كان لابد لها أن تبحث لعبدالدايم عن اسم آخر يضرب إلى التركية أو الارستقراطية. وعلى كل حال هي في غير حاجة إلى هذا البحث. والذين يلتفون حولها لا يعنون في قليل أو كثير باسم أبيها. فمادامت بهذا الجمال وهذه الرشاقة، ومادامت تستطيع دائما أن تضحك هذه الضحكة ذات الصليل، فهي في غير حاجة إلى أب على الإطلاق.

في بيت وجدى الكؤوس تدور، حتى لقد أصاب الكؤوس نفسها دوار من الخمر أو التنقل.. لا يهم. وتلف أيضا على المدعويين غابة ينفذ من خلالها الدخان المخدور، والغابة لا تكف عن الدوران.

يعددها لهم فتى توسط حلقتهن، إن أنعمت فيه النظر، وأنت محتاج إلى إنعام النظر. فالدخان ضباب كثيف، والرؤية ليست ميسورة. وما هم في حاجة إلى رؤية ميسورة، ولكن أنت لابد لك أن تنعم النظر. فإذا فعلت وجدت الفتى الجالس الذي يعد المخدر هو جابر عبدالبديع. أتذكره.. ما إخالك ألا تذكره.. إنه زوج هالة وهو نفسه أخو حامد.

\* \* \*

باع حامد من أرض يحيى تسعين فداناً، وكان القانون يبيع للأسرة ثلاثمائة فدان. فكان لابد أن يستولى الإصلاح الزراعى على مائتين وسبعين فداناً.

## □ نفوس من ذهب ونحاس

- إذن نسلم الأرض.
- يحيى بك أهذا كلام؟
- وهل هناك كلام آخر؟
- هذا شغلى أنا.
- وهل هناك شغل أيضا فيما يفرضه القانون؟
- القانون صديقى، وأنا أعرف كيف أتصرف معه.
- حتى القانون أصبح صديقك؟
- مؤكد.
- كيف؟
- من الذى يطبق القانون؟
- القضاة.
- هذا فى القضايا العادية. أما فى الإصلاح الزراعى فهناك جهات كثيرة قبل أن نسمع كلمة القضاء هذه.
- آه فهمت!!
- ومن يفهم إذا لم يفهم يحيى بك؟
- إذن نتفق على الأتعاب.
- أنت مصر على تسميتها أتعابا!
- سمها أنت كيف تشاء.
- أحب أن أسميها هدايا؟
- لتكن إذن هدايا.
- كم أهديتنى عن الأرض التى بعثها عنك؟
- ثلاثين جنيها عن الفدان؟

## □ نفوش من ذهب و ناله



## □ نفوشر من ذهب و نباله

- ستكون الهدية فى هذه الفدادين.
- وقبل أن يكمل جملته دخلت بهيرة:
- أتعملان..؟
- نعم.
- إذن أترككم؟
- وهل هناك عمل يخفى عليك. تفضلى يا بهيرة هانم؟
- وهو كذلك.
- وقال يحيى:
- لم تقل هدية الفدادين الباقية.
- أقولها لك غدا فى التليفون.
- كنت على وشك قولها.
- لم أكن أنوى أن أقول الرقم.
- فماذا كنت تنوى أن تقول؟
- كنت سأقول أننا سنجعلها هدية واحدة لكل الأرض مرة واحدة.
- لا بأس.
- ولن أخذ شيئاً إلا بعد أن تطمئن إلى قبول التصرف من الجهات المختصة.
- موافق.

\* \* \*

- حين دق جرس التليفون ردت بهيرة:
- بهيرة هانم؟
- أنا.

## □ نفوشر من ذهب ونحاس

- أنا حامد عبدالبدیع.
- مرحبا يا أستاذ.
- أنا سعيد الحظ جدا.
- كذا.
- وهل فى هذا شك؟
- شك كبير!!
- لماذا لا قدر الله؟
- بالأمس أنهيت الحديث بمجرد دخولى.
- وهل تهملك هذه الأعمال؟
- أليست أعمال زوجى؟
- أنا تحت أمرك.
- يا أستاذ حامد زوجى لا يخفى عنى شيئا أبدا.
- وهل معقول أن شخصا له زوجة مثلك يخفى عنها شيئا؟
- أهذا رأيك؟
- هذا جزء من رأىى يا أفندم.
- الجزء الأول.
- لا.. هذا الجزء العشرون والآخر.
- وماذا عن الجزء الأول؟
- الجزء الأول خاص بالجمال والأنوثة.
- كفى كفى!!
- حضرتك التى سألت يا أفندم.

## □ نفوس من ذهب وناس

- من معك؟
- وهل معقول أن يكون أحد معي وأنا أتكلم عن هذه الأجزاء؟
- متى سنراك؟
- أمرك.
- الليلة.
- تحت أمرك.
- يحيى بك موجود؟
- أيهمك وجوده؟
- المهم وجود حضرتك.
- الساعة السادسة اليوم.

## □ نفوس من ذهب و نبال



## □ نفوس من ذهب ونحاس

ناهد فكرى سيدة عجيبة فى المجتمع المصرى. إنها ليست من طبقة  
الأمراء. وأبوها ليس وزيراً ولا هو رئيس وزارة. إنما هو رجل عاش عمره  
يؤدى عمله كموظف فى وزارة المالية.

وكان طريقه فى الحياة يفرض عليه أن يعرف ذوى الشأن فى السياسة  
والمجتمع. ولكنه هو نفسه لم يكن يحب أن يخوض المجتمع أو يدعى  
السياسة. وهو رجل موظف. وهو موظف أمين شريف لم يسمع أحد عنه  
شيئاً يشوب سمعته بسوء. وزوجته هى ابنة عمه وجدان هانم قرنى، وقد  
كانت سيدة من خيرة السيدات ليس لها فى الحياة إلا زوجها، وبيتها  
وابنتها ناهد وابنها سعيد، وكانت السيدة لا تترك سجادة الصلاة إلا  
لتقوم بشئون بيتها، وكان من الطبيعى أن يرسل الأب ابنه وابنته إلى  
المدرسة، فقد كان من هذا الجيل الذى اعتبر التعليم ضرورة لا غنى عنها  
للفتى أو الفتاة على السواء.

وأتم سعيد الدراسة واشترى له أبوه سيارة، فإن موارده لم تكن قائمة  
على مرتب الوظيفة، وإنما كانت الوظيفة مجرد أن يكون موظفاً، فقد كان



## □ نفوس من ذهب و نبال

يجل نفسه أن يكون بلا عمل مهما يكن غناه هذا الغنى الفاحش الذى تركه له والده.

لقد كان فكرى الزينى يملك ثمان عمارات إلى جانب تسع قطع أرض فضاء جميعها صالح للبناء، وكانت كل قطعة منها لا تقل عن العشرين فدانا، ويصل بعضها إلى خمسين فدانا. ولكن فكرى لا يتصور أن تكون وظيفته فى الحياة مالكا فقط.

فقد كان يرفض أن يروى المجتمعات، ويرفض كما ذكرت لك أن يعلم بالسياسة. فإذا خلت حياة الغنى من مجتمع أو سياسة أصبحت فراغا لا يطيقه أحد.

لم يكن عجيبا إن أن يشتري فكرى لابنه سعيد سيارة، ولم يكن غريبا أيضا أن يختار سعيد أفخم سيارة فى ذلك الحين، وقد كانت «باكارد»، وكان لها غطاء يرفعه عن نفسه أو يسدله كيفما يعن له.

ولكن فكرى لم يقدر أن ابنه حين اشترى السيارة كان قد اعد لنفسه الوسيلة التى يموت بها.

هكذا شاء القدر، ونزلت المفاجعة عليه وعلى زوجته قاصمة توشك أن تخلع جذورهما من الحياة، ولولا أن تعلقا بالإيمان، ولولا هذا اللطف الخفى الذى تبطن به السماء الفواجع لكان الجنون أقل ما ينتظر الرجل الطيب وزوجته المتوكل على الله.

وهكذا انفردت ناهد بوالديها، فكانت تصنع كل ما لا تستطيع فتاة فى سنها وفى مجتمعها أن تفعله.

الملابس غاية فى الفخامة. السيارة دائما من آخر طراز. الزينة يقوم بها أعظم المتخصصين وأدوات الزينة تأتى من أعظم الأنواع، وإذا لم تسعفها بها القاهرة، وقد كانت من أعظم الأسواق العالمية، أسعفتها بها باريس أو لندن أو أى بلد فى العالم.

وامتدت صداقات ناهد مع كل رواد المجتمع الذى كانوا حينذاك من بنات وأبناء الأمراء. فإن تواضعوا فمن أبناء وبنات روساء الوزارات أو الوزراء

## □ نفوس من ذهب ونحاس

أو وكلاء الوزراء، وقد كانوا فى هذه الأيام ذوى طنين ويمكن أن يكون رواد هذه المجتمعات من مجرد الأغنياء، ولكن حتما عليهم حينئذ أن يكون آباؤهم وأمهاتهم هم أنفسهم من رواد الصالونات يدعون إلى بيوتهم كما يدعوهم الناس، وإلا فلا مكان لهم أو لأولادهم فى هذه الألباء...

ولم يكن فكرى ولا كانت الست وجدان ليفكرا أن يرودا هذه الصالونات، ومن المؤكد أن أحدا منهما لم يكن يفكر أن يدعو إلى مثل هذه الحفلات. ولكن العجيب، وهذاما جعلنى أبدأ هذا الفصل، أن السيدة ناهد سيدة عجيبة فى المجتمع.

كيف يسمح أبوان لا شأن لهما بصالونات المجتمع ومبازله لابنتهما أن ترود هذه المجتمعات ولا يمنعاها.

وكيف استطاعت هذه الفتاة بمفردها ودون عون من دعوات توجيهها مثل الدعوات التى تلقاها أن تفرض نفسها على المجتمع بهذه القوة وهذا الجبروت.

لا يستطيع المجتمع أن يدعو جميع أعضائه فى كل دعوة.. وإنما هناك دائما نوع من الاختيار، والذى دعى هذه المرة عند فلان يستطيع فلان آخر ألا يدعو فى المرة اللاحقة.

إن أى بيت من البيوت التى تصطنع هذه الدعوات لا تستطيع أن تحتل أكثر من عدد معين يمثل على أحسن تقدير عشر هذا المجتمع، أو واحدا على عشرين منه.

ولكن مهما تكن الدعوات قليلة، ومهما يكن البيت صغيرا، فلا بد أن تنصدر الليلة ناهد فكرى.

أى سحر فيها؟

إنها جميلة. لاشك فى ذلك، ولها هذا العطر السحري الذى يجذب العيون والقلوب. فهو عطر ممزوج بجسمها تكون معها، وهى بعد جنين لا تشتريه ولا يستطيع أحد أن يشتريه، فيه هذه الخاصية التى لم يستطع أحد أن يكشف سرها وإنما هى تأسر فى غير عقل وتستولى على المشاعر

## □ نفوس من ذهب ونفوس

فى غير منطق. وكل ما عليها من عطور وملابس وما صنعه البشر بشعرها من تلافيف أو بوجهها من زينة لا قيمة له مع هذا العصر الذى منحته لها الطبيعة والذى لا يعرف أحد مآته والذى نحمد الله أن أحدا لا يعرف مآته، وإلا أصبح الرجال جميع الرجال عبدا أو مجانين، وأصبحوا جميعا - ولا شك فى هذا - عصاة.

ولكن أهذا العطر هو الذى يجعلها تتصدر الحفلات جميعا.. كيف؟.. إذا قبلنا ذلك فى الحفلات التى يقيمها الرجال فكيف بنا أن نقبله فى الحفلات التى يقيمها النساء.. إنها هناك مهما يكن جنس الداعى رجلا كان أو كانت امرأة، عجوزين كانا أو كانا من الفتیان..

وهذا السحر فيها تمتاز به اثنتان أو ثلاث فتيات أخريات. وهن أيضا يستقبلن الدعوات. وحين يجتمعن ينشق الحفل عن مباراة فى الجمال والأنوثة لا يهم أحدا من الكاسب فيها ومن الخسران. فالؤكد أن المدعوين جميعا هم الكاسبون.

ولكن أولئك الفتيات كثيرا ما تؤجل دعوتهن، وكثيرا ما تخلو منهن الحفلات إلا ناهد.. إنها دائما هناك.. هذا هو العجب..

والمجالات تتابع هذا المجتمع فى اصرار ومازالت تتابعه.. لم تستطع ثورة حطمت كل المعايير والمقاييس والقيم القديمة أن تحطم أهون ما فى هذا المجتمع من متابعة المجالات لأخبار الصالونات.

'وقد هشمت الثورة من كان يؤم هذه الصالونات، ولكنها فى نفس الوقت خرجت للصالونات قوما آخرين.

وإن كان المجتمع المهشم قد أدرك معنى الصالون ومعنى الأبيسون والشينوا، ومعنى الرفق فى الغزل، والكلمة تهمس ولا تقذف، واحتساء الخمر يحذر حتى لا يفلت الزمام إلا قلة هزيلة منهم كانوا مرضى. وإن كان المجتمع الذى هشمت الثورة يعرف معنى الموسيقى الحاملة أو الصاخبة، ويعرف كيف يمسك بأدوات الطعام الفضية أو الكريستوفل أو المستجلبة من شيفيلد وميبيل أندوب، ويجيئها على الأطباق السفر أو

## □ نفوس من ذهب ونحاس

الليمونج فلا تسمع لها إلا همسا كهمس المحبين.  
فإن المجتمع الجديد يعرف كيف يشتري أغلى الأشياء، ويقذف بها فى صالوناته لا يفكر فى مواعة بعضها لبعض. فهذان كرسيان حديثان غاية فى الغلاء موضوعان إلى جانب أريكة أبيضون! وهذه منضدة من النوع الحديث المرتفع الثمن إلى جانب كرسي مرسوم على نمط لويس السادس عشر. والخمر فى المجتمع الجديد أنهار، والشاربون يعبون عبا ويعلون وينهلون ولا يحتسون، فهم يريدون أن يسكروا لا أن يشربوا، والمجتمع الجديد يخصص حجرات للمخدر ذى الدخان أو المخدر الذى يبلع. فالسكر عندهم هو الغاية، وهم يملكون إليه الوسيلة.

والأطباق غالية الثمن، والأدوات مازالت فضية، ولكن إذا مد الطعام نشبت أمامك معركة بين أدوات الطعام والأطباق.

وعلى الحاليين المحلات عندنا تهتم بهذا المجتمع. كانت تهتم بالمجتمع الراحل، وهى اليوم تهتم بالمجتمع الذى أخذ مكانه.

وفى أى مجتمع تسطع ناهد فكرى لتكون نجمة كل المجالات، فإذا هى فى بعض عام أعظم شهرة من كواكب السينما جميعا.

وحين أقبل الإصلاح الزراعى كان أبوها قد انتقل إلى العالم الآخر بعد أن جعل ناهد مالكة لكل ما يملك، وحين أصبح المجتمع الجديد هو المجتمع المتعمد المعترف به، راح مجتمع ناهد القديم يللم أذياله ويتخفى فى التبايع، ويتعد عن أضواء آلات التصوير، بل عن أضواء الشمس إذا استطاع.

والعجب أن ناهد استطاعت فى مقدرة فائقة أن تغرب من المجتمع القديم لتشرق فى المجتمع الجديد، وإن كانت فى المجتمع القديم كانت شمسا مع ثلاث شمس أو شمسين، فهى فى هذا المجتمع شمسه الرفيعة المتألقة التى تنفرد بسمائه.

تلك هى قصة ناهد مع المجتمعين.. ماذا عن ناهد فى بيت أبيها ذلك الرجل الجاد وأمها تلك السيدة الودود التى لا تعرف إلا البيت والصلاة.

## □ نفوش من ذهب و نكاس



## □ نفوس من ذهب و نحل

كان أمر الوالدين عجبا . حاولا بكل ما يملكان من جهد أن يقفأ بين ابنتهما وبين الطريق الذى اختارته، ولكنها كانت كالفرس الجموح . وحين طالت المناقشات بينها وبين أبويها وأوشكت أن تضيق بها، وجدت وسيلتها من قريب .

كان وجدى موجودا فى كل دعوة تلبيها ناهد . وكان جماله الواضح يجعله دائما ملتقى اهتمام . وكان وجدى قد أعد نفسه لهذا المجتمع فعرف كيف يكون سهلا فى حديثه يسير به على سطح الأرض ولا يغوص فى أعماقها . إن دخل فى نقاش استطاع أن يقنع كل من يحادثه أنه صاحب الرأى الحق . وهكذا كان يترك الآراء تشتجر وتتشابك وهو يقف منها موقف المؤيد لكل رأى . فقد أدرك من المجتمعات التى هيأتها أمه أن من لا رأى له هو أقرب الموجودين إلى قلوب الحاضرين .

ولكل إنسان فى الحياة هدف ومتجه، وما كان وجدى ليفكر مطلقا أن يكون صاحب مكانة فى الحياة العامة . وإن كان هذا المجتمع بالذات هو غايته وهدفه حتى شهادة الحقوق التى حصل عليها كان يعتبرها وسيلته إلى هذه المجتمعات وليست وسيلته . لا قدر الله . إلى قضاء، واقفا كان هذا القضاء أو كان جالسا .

وحين شب وجدى عن الطوق، وعرف قصة ميلاده، تقبلها فى هلع أول الأمر، ثم أمعن النظر فيها، فإذا هو يخرج بها إلى رأى استقر عليه وارتاح له . لقد أعجب بأمه غاية الإعجاب، فليس عليها من بأس فى رأيه أن تصل بينها وبين أبيه عزت وهو من هو جمالا . لقد رآه حين زحفت الغضون إلى وجهه، لم تستطع أن تعدو على جماله . وحين مات عزت فكر أن يسير فى جنازته، ولكنه خشى أن يتغامز عليه المشيعون، فاكتمى بدموع تحدثت من عينه فى طى الكتمان، ولم يكن يدرى يومذاك لماذا يبكى، فأبوة عزت له أبوة أسأت إليه أمام الناس ثم هو لم يشعر منه بحنان . وجمود الأبوة يجعل الأبناء يكرهون آباءهم أكثر من كراهيتهم لأعدائهم . فالمفروض أن العدو لا يرحم، والمفروض أن الأب رحمان وعطوف وحنون، كله اشفاق وقلب يخفق

## □ نفوس من ذهب ونحاس

بابنه، وروح ترفرف حيث يتحرك أبنائه.  
فإذا لم يرحم فقد خرق نواميس البشر، وإذا قسا بغير عدالة فقد قلب  
واقع الأفلاك. أما إذا جحد ابنه فكان عنده هملا لا وجود له. فهو قد مزق  
أستار البشرية، وانحط إلى درك الحيوان.  
ولكنه بكاه..

كان وجدى إذن يرى أن لا بأس على أمه أن تقيم بينها وبين أبيه عزت  
صلة. فشأن السيدة المطلقة أن تبحث عن سند لها فى الحياة. وإذا لم  
يتوافر السند الشرعى فإن وجدى يرى أن لا بأس عليها أن تبحث عن سند  
غير شرعى. فإذا كان جميلا فالعذر إذن ممدد لها.  
ويرى وجدى أن أمه كانت ذكية حين ألحقت نسبه إلى عبدالمحسن باشا.  
فهى تختار لابنها.. ومن حقها أن تختار له.. الأب الأحسن.. ومن أحسن  
من عبدالمحسن باشا.. وجعلت الطفل شرعيا أيضا.

وليقول الناس بعد ذلك ما يقولون.. لقد فاز بناء على حكم القضاء بأب  
باشا وبثروة جديرة بالبشوات. وهكذا استطاع وجدى فى قدرة لا تتأتى  
إلا لنوع خاص من البشر أن يعجب بأمه لأنها ذكية ويعجب بأبيه الذى  
صنعت له المحكمة لأنه باشا، وبأبيه الذى فرضته عليه الحقيقة، والطبيعة  
وأحاديث الناس، لأنه جميل ولأنه قادر على أن يجعل النساء يحببته.  
فوجدى فى نظر نفسه يجمع المجد من ثلاثة أطراف أن كان أهل المجد.  
والشاعر الذى تحدث عن أطراف مجده يجمعون المجد من طرفين اثنين  
على أكثر تقدير. والغالبية العظمى أن كان لهم مجد يتفاخرون به فهو لا  
يزيد على طرف واحد.

وخاض وجدى المجتمع بهذه الثقة الهائلة بنفسه وبميلاده، وكثرا ما كان  
يغبط نفسه، لأن الكثيرين ممن يخوضون هذا المجتمع يحتاجون إلى جهد  
جهيد من ثقافة خاصة، ودرية فى التعامل، وممارسة لهذه الحياة، واختلاط  
بالأسرات، وزمن طويل حتى يتحقق لهم آخر الأمر شهرة بين أبناء هذه  
المحافل، أما هو فقد وجد شهرته سبقتة إلى محافل هذا المجتمع جميعها

## □ نفوشر من ذهب و نبالس

ولم يكن يضيق حين تعرفه بعض السيدات بأخرى قائلة وجدى ابن نجاة،  
مقنعا نفسه أن الأم صديقة السيدات، ومن الطبيعي أن ينسب إليها  
عندهن، ولا يريد وجدى أو هو لا يهمه أن يتشكك فى السيدة التى تقدمه  
على هذه الصورة أنها إنما تتخلص من حيرة بين الحقيقة القضائية  
والحقيقة التى تعرفها هى ويعرفها الجميع. ويؤكد هذا الشبه بين الابن  
وبين أبيه الحقيقى. قالت له ناهد

- أظن اننى كبرت وأنت أيضا على هذا اللف والدوران؟

- أى لف ودوران؟

- وكبرنا أيضا على الاستعباط!!

- والنتيجة؟

- قل أنت ماذا تريد.

- مادمننا قد وضعنا شروطا للعبة فيجب علينا أن نلتزم بها جميعا.

- حسنا.. لن ألف معك.. أهى محاولات منك لاجتذابى إليك أم أنت جاد

فى الغزل، وهذه النظرات التى أصبح الجميع يتندر بها.

- هذا يتوقف على معنى الجدية.

- لا يختلف اثنان فى معناها.

- ولكن نحن قد نختلف.

- أمختلفان عن الناس؟

- المؤكد أننى لم أسمع أن مثل هذا الحديث دار بين اثنين قبلنا.

- لأنك دائما تدير أحاديث أخرى.

- وأسمع أحاديث أخرى أيضا.

- استطعت فى فرح هالة فقط أن تقيم علاقة بينك وبين بهيرة.

- أمازلت تذكرين؟

- أنا لست مثل بهيرة.

- هذا مؤكد.

- أنا أعرف انك طلبت أن تتزوج بهيرة.



## □ نفوس من ذهب وفلاس

- أمى التى طلبت.
- لم يكن حيا إذا؟
- بداية استلطاف.
- والذى تفعله معى الآن.
- ماذا تريدينه أن يكون؟
- أنا لا أمانع فى الزواج.
- وأنا أرحب به.
- على شرط.
- كل الشروط مقبولة.
- أن يعيش كل منا بالطريقة التى تروق له.
- أمعقول أن تقولى هذا؟
- هذا ما سأفعله.
- فى استطاعتك أن تفعليه دون أن تذكره.
- لا أحب الخداع.
- ربما كنت أحبه.
- لعلك احتجت إليه.
- كل الناس تحتاج إلى بعض الخداع.
- ولكن بعض الشروط تحتاج إلى الخداع الدائم.
- لقد قبلت الشرط.
- ولم يتردد فكرى فى قبول خاطب ابنته رغم أنه يعرف كل شىء عن تاريخ حياته، بل إن وجدان هانم رحبت بوجودى. فقد كان الأب والأم كلاهما يخافان كل الخوف ألا تتزوج ابنتهما بعد أن أصبحت حديث المجلات وأبواب المجتمع. وكان فكرى بك فى أخريات أيامه. وكان يخشى كل الخشية أن يترك ابنته بلا زوج فيزداد سفورها على الحياة. وهكذا تم الزواج فى سرعة. واستقلت ناهد ببيتها، ولم تعد رقابة أمها أو أبيها تلاحقها.

## □ نفوس من ذهب ونحاس

وسرعان ما استقرت الحياة بينها وبين وجدى بل سرعان ما تفاهما. لم يكن طريقهما متباعدين. كان الطريق واحدا ولكن كلا منهما كان يسلك الطريق لحسابه الخاص.

لم تمض شهور على الزواج حتى كان فكرى الزينى قد لقي ربه، ولم تمض شهور أخرى حتى صدر قانون الإصلاح الزراعى، وشمر وجدى عن ساعد الجد، وشمرت معه ناهد، فإذا بيتهما ملتقى الأرياب الجدد، أو أنصاف الأرياب من الاتباع، واستعملت ناهد كل وسائلها من سحر الأنوثة وعطر السماء، وتخاضع اللفظ واختيار الإشارة، ورسم الابتسامة، وافتعال الغضب، واصطناع الحفلات، وصناعة الأبهار.

واستعمل وجدى كل ما حبته به الطبيعة من اصطناع الغباء، وقبول كل الأوضاح، وتوطيد الصداقات مهما يكن ثمن الصداقة من عرض أو سمعة. فما يعنيه العرض، ولا قيمة عنده للسمعة، فهو من هو عرضا وسمعة بحكم الميلاد.

لقد كانت ثروة أبيه من الأرض الزراعية، وقد استطاع بمواهبه هذه أن يبقى عليها كاملة لم يتسلم منها الإصلاح الزراعى شيئا، وقد أعانه على تلفيق الأمور حامد عبد البديع.

ومن هذه الأبواب التى تفتحت لحامد على يد وجدى وأخيه جابر الذى كان على صلة قديمة ببعض الأرياب الجدد، استطاع حامد أن ينفذ أرض يحيى، ويتقاضى ثمنا لذلك عشرين فدانا من أرض يحيى يصحبها أيضا عرض يحيى.

## □ نفوشر من ذهب و نلاس



## □ نفوس من ذهب ونحاس

لم يكن أسامة يتصور حين حصل على شهادة الحقوق أن يتجه إلى ما اتجه إليه. فقد بدأ حياته بأن تمرن في مكتب المحامي الكبير صديق والده مهران باشا عبدالفتاح، وقد استطاع أن يعرف في هذا المكتب الكبير كيف يكون المحامي كبيرا. فأسامة يجيد الفرنسية، وهكذا كان يستطيع دائما في كل القضايا أن يرجع إلى أهم المصادر، وقد علمه مهران باشا كيف يتناول القضايا، ويتعامل معها، ويغوص في أدق ما تخفيه أوراقها.

وما هي إلا شهور حتى تبين مهران باشا أن أسامة يملك موهبة المحاماة. وأدرك أن أسامة يستطيع أن يكون امتدادا لأجيال العباقر من المحامين أمثال عبدالعزيز فهمي ومرقص حنا والهلباوي ووهيب دويس وعلوبة ومرعي إلى آخر هذه الأسماء التي وطدت دعائم المهنة الخطيرة وأرست أركانها في مصر وفي الشرق العربي.

وقد أدرك أسامة أن علمه باللغة الفرنسية سيمكنه أن يكون محاميا عملاقا في القضايا المدنية. فهي التي تحتاج إلى البحث والرجوع إلى

## □ نفوس من ذهب و نبال

المصادر الأصلية للقانون.

وراح أسامة يخطو خطواته الأولى، ولكن قليلا ما خطا.. فسرعان ما انقلبت موازين المجتمع كلها.. ولم يصبح للقانون المدني مكان فالقانون المدني يقوم أساسا على أن للمال حرمة، والدولة هي التي تحمي هذا المال أن يستلب بطريق غير مشروع.

فحين تستلب الدولة نفسها هذه الأموال، وتصدر القوانين بالحراسة والمصادرة لاستلابها تسقط حرمة المال، ويصبح اختطافه والاستيلاء عليه بغير حق هو الأصل، وتصبح حرمة واحترام حق الانسان فيه استثناء لا يقاس عليه ولا يتوسع فيه.

وفى ظل هذه الشرائع الجديدة من سقوط الشرعية ينزوى القانون خزيان ينظر ويتحسر وتدمى جراحه ولا ينطق. فالقانون هو الشرعية فإذا استبيحت الشرعية اندثر القانون. وهكذا أصبح القانون المدني تاريخا يروى عنه كفترة من الزمان كانت ولم تصبح وممرت ولم تعد توجد. وتخلو الحياة من القانون. وتخلو أيضا من العاملين في القانون. وهكذا كان من الطبيعي أن يبحث أسامة لنفسه عن عمل جديد. لم يتصور أنه يستطيع أن يتوظف. فقد تعلق بالمحاماة وأحبها ورسم مستقبل حياته على أن يكون محاميا. وقد قضى السنوات التي عمل بها في المحاماة في توطيد أركانه في ميدان القانون.. والقانون المدني بالذات. حين رأى القانون المدني يحتضر حار به الطريق وأشككت أمامه المناهج، لم يعد يدرى إلى أي مصير يصوب غايته.

كان قد خلف مهران باشا في المكتب في صفقة مالية معتدلة جديرة برجل كبير مثل مهران باشا، ويشاب غنى مثل أسامة، وفي الأيام الأولى لاستقلاله بالمكتب بدأ الانهيار القانوني في الحياة المصرية، وأصبح أسامة يتابع القضايا القديمة في المكتب ويقينه يزداد كل يوم أنه لن يجد قضايا جديدة.

فاسم المكتب كبير، ولا يؤمه إلا أصحاب القضايا الكبيرة، وهؤلاء



## ١٢ نفوس من ذهب ونفوس

زالوا تماما من الحياة المصرية مضيعين بين المصادرة والحراسة. وباسم الحراسة والمصادرة اغتالت الدولة الغالبية العظمى من أصحاب المال بقانون، فكان شأنها مع هؤلاء شأنًا فريداً. فالسارق يعاقبه القانون ويسترد منه المال، أما إذا اغتصب القانون نفسه المال فى حماية من قوة الدولة وسلطانها، فإنه حينئذ يصبح اللص أشرف من الدولة، وتصيح السرقة أشرف من القانون. فلم يكن غريباً أن يدرك أسامة أن المكتب إلى افلاس. وإن كان هناك بعض محامين صغار يروحون ويجيئون فى المحاكم. فإن هؤلاء إنما يترافعون فى قضايا صغيرة، لا تستطيع أن تقترب من باب المكتب الكبير.

كان أسامة واثقاً أنه لابد له أن يبحث عن طريق آخر، وكان وثوقه هذا يزداد فى كل يوم إيقاناً.. أين إذن الطريق.. فكر أن يكتب لجميل فى الكويت، أو لصبحى فى السعودية لعل واحداً منهما يستطيع أن يجد له عملاً هناك. فهو لا يطبق البطالة حتى وإن كان موفور المال.. كان فى ذلك اليوم أوشك أن يصمم على كتابة الخطاب ولكن وكيل المكتب يدخل إليه.

- زوجة محمد بن تطلب أن تراك.

- عم محمد بن.

- قالت إنك تعرفها.

- أدخلها فوراً.

وقام أسامة وراء وكيله وفتح باب مكتبه وهو يصيح:

- أهلاً أمه مرسيلة.

- أهلاً بك يا ابنى.

- أين أنت..؟

- فى الدنيا.

- تفضلنى.

وتدخل السيدة العجوز، ويجلسها أمامه على كرسى قريب من مكتب،



## □ نفوس من ذهب وفضة

ويجلس أمامها كما يفعل مع كبار الزوار. إنها زوجة عم محمد بن الذي كان مع أبيه وجده والذي لفته على كتفيه. وكان عم محمد بن قد مات منذ سنوات، وسأل أسامة زوجته هذه التي يناديها أمه مرسيلة إن كانت تريد مرتبا شهريا أم تريد مبلغا واحدا مرة واحدة، ففضلت المبلغ الواحد فأعطاه ألفى جنيه، وطلب إليها أن تقصد إليه في أى لحظة إذا احتاجت إليه، وكانت والدته منذ فترة تطلب إليه أن يسأل عنها. وذهب فعلا إلى البيت الذي كانت تقيم فوجدها قد تركته، ولم يعد يعرف عنوانها فكان فرحه بمجيئها طبعيا، فقد كان يريد أن يطمئن على أحوالها، وهى فى هذه السن المتقدمة كما كان يريد أن يطمئن أمه عليها. - لقد وقعت من السماء.

- ألتقك بعينى يا أمه مرسيلة.. أين أنت؟ لقد ذهبت إلى.. - سأحكى لك.. حين أخذت منك المبلغ كان عمك محمد بن قد اشترى أرضا بخلوان، وهو يعمل مع المرحوم والدك قلت أضع المبلغ فى بناء بيت يسترنى أنا وابنى راشد وزوجته.

- راشد تزوج.

- لم يكن أيامها متزوجا ولكن قلت فى نفسى انه لابد سيتزوج. - معقول.

- وتزوج فعلا. واسم النبى حارسه تعلم ميكانيكى. - سيارات.

- سيارات وكل الماكينات، واستطاع واحد من أصحابه أن يعينه بشركة من شركات الحكومة.

- عظيم.

- أنا أجرت شقة فى حلوان لأكون بجانب البيت، وهو بينى، ورشد تعين.

والحمد لله أصبحت الحالة ميسورة، وتزوج راشد بنت حلال من أربع سنوات، وعنده الآن ولدان على وحسين. - باسم الله ماشاء الله..

## □ نفوس من ذهب ونحاس

- تعيش.. ما أدري من يومين إلا وواحد من أصحاب راشد يدخل على  
على ويخبرني أنهم قبضوا على راشد.  
- ماذا.. لماذا؟  
- قال صاحبه انه كان في مظاهرة.  
- مظاهرة.. وهل هناك مظاهرات الآن؟  
- يا ابني والله لا أعلم.. قال عن البتاع الاشتراكي، وأنه قال في  
الاجتماع كلاما جعل الرؤساء يزعلون.. المهم الولد محبوب.  
- أين؟  
- لا أدري.  
- كيف؟  
- ليلتين الآن لم يأت إلى البيت ولا أعرف له طريقا.  
- من الذي قبض عليه؟  
- سبحانه العالم.  
- طيب يا أمه مرسيلة تعالى أنت معي الآن إلى البيت.  
- أرهح يا ابني. البنات امرأة راشد فتها في البيت حالها ملخبطة، ولا  
يصح أن أتركها وحدها.  
- اسمعي.. تعالى معي، وسأرسل السيارة تأتي بزوجة راشد ويعلى  
وحسين أيضا.  
- يخليك.. يطول عمرك.. يعمر بيتك.  
- قومي يا أمه مرسيلة.. قومي.. هيا.. نينا ستفرح جدا لما تشوفك..  
وأنت أيضا ستفرحين لما تشوفى مراتي نادية وابني راشد وفهمي.  
- محفوظ باسم الرحمن الرحيم تعيش الأسامي.. ولا تدعوني ياسي  
أسامة.. لقد شلتك على كتفي ولا أحضر فرحك.  
- ربنا يعلم.. بحثت عنك بلا فائدة.. على كل نصلح الخطأ اليوم.. هيا  
بنا.



# □ نفوشر من ذهب و نيلس



## □ نفوس من ذهب وناس

الخيانة ليست وليدة منطق، وإنما هي طبيعة فى بعض الناس، أو إن شئت الدقة هي طبيعة فى أكثر الناس، مثلما تجد الأمانة طبيعة أيضا عند قلة من الناس.

وقد تعاني المرأة من زيجها ما تعاني، ولكنها مع ذلك تظل شريفة دون أى منطق يدعوا لهذا الشرف إلا أنها هي بطبيعتها شريفة، ولا تتصور أن الحياة فيها طريق آخر غير الشرف.

وليس صحيحا أن البنت لأنها كما يقول هذا المثل السخيف الذى يكفى القدرة على فمها دون أى داع، ودون أن يكون للقدرة أى دخل فى الموضوع إلا أن تكون مقدمة دون معنى لنتيجة لا صلة لها بالمقدمة، ثم هي نتيجة خاطئة.

فكثيرا ما عرفت الحياة فتيات شريفات غاية الشرف، وهن من أمهات لا يعرفن الشرف فى أى شيء.. وكثيرا، بل وكثيرا جدا ما أصبحت بنات غير شريفات وهن فى ذلك من أمهات كلهن شرف، وهكذا تجد نفسك فى غير حاجة أن تكفى القدرة على فمها لتطلع البنت لأنها، كما



## □ نفوس من ذهب و نبال

يقول هذا المثل العامي الساذج.  
ولكن لا بأس أيضا أن تتعرض البنت لظروف مثل ظروف تعرضت لها  
أمها، فتجد البنت نفسها سائرة في الطريق الذي سبقتها فيه أمها.  
ولكن الموقف مع بهيرة ابنة شهيرة مختلف كل الاختلاف. وإن كانت  
النتائج متشابهة كل التشابه.  
فشهيرة خانت زوجها، لأن زوجها كان يدعو الناس إلى احتقاره بكل  
الوسائل المشروعة وغير المشروعة. فلم يكن غريبا إذن أن تبحث شهيرة  
عن أحضان تحترمها فحانت.  
أما بهيرة فزوجها يفرض احترامه على الناس بكل الوسائل المشروعة  
وغير المشروعة. أو هو في الواقع يصطنع الوسائل غير المشروعة في  
فرض هذا الاحترام. ذلك أنه يطالب بالاحترام بالتكبر لا بالكبرياء،  
وبالتظاهر لا بالحقيقة. فهو أجوف بلا علم، ومن أين العلم، وبلا تجربة  
ومن أين التجربة. وقد وجد نفسه في بواكير الحياة من كبار بكوات  
المجتمع المصري بغير ثقافة أو علم أو تجربة في الحياة. وكانت البكوية  
التي صبتها عليه أمه بقوة المال وجبروته لا تتيح له أن يخالط أبناء جيله،  
ويحيا الحياة الطبيعية التي تجعل الإنسان حين يكبر إنسانا طبيعيا  
شأنه شأن الآخرين له تجاربهم، وله أيضا أخطاؤهم.  
اعتزل يحيى الحياة قابعا بين جدران بكويته الباكورة وتكبره الكاذب  
فأصبح فراغا. ولهذا لم يكن عجيبا أن يقنع بالاحترام الزائف من ظاهر  
الناس، وإن خالطه الاحتقار، بل وإن خالطه السخرية في أعماقهم.  
وبهذا التكبر وبهذا الارغام على الاحترام الموهوم عامل يحيى الحياة،  
وعامل أقرب الناس إليه زوجته بهيرة وابنيه باسل وشهاب.  
وهكذا راح ثلاثتهم يبدون له الاحترام غاية الاحترام، ويكونون له  
الاحتقار غاية الاحتقار.  
أما الزوجة فهي تحتقره للتكبر السخيف الذي يلزمه. فهو دائما



## □ نفوخ من ذهب و نكاس

منفوخ الصدر يتكلم وكأنما كلامه وحى من السماء، ويخاطبها وكأنما يتنازل كل التنازل أن يمتد بينهما حديث.

وكم كان سهلا على بهيرة أن تبدى له الاحترام، وتشبع الغرور العجيب الذى ركب فيه، ثم هى بعد ذلك تصنع ما تشاء لتشعر أنها تنتقم من غروره، وأنها قادرة دائما على تحطيم كبريائه ولو فى نفسها. والحب لا يستطيع أن يماشى الاحتقار مطلقا. وهكذا أصبح من المستحيل أن تحب بهيرة زوجها. وإذا انعدم الحب من البيت فكل شيء غير شريف معقول وطبيعى.

أما ابناه فهما لم ينتبها إلى احتقار كبريائه إلا حين تقدمت بهما السن، عرفا آباء آخرين لأصدقائهما. وبالمقارنة تبين لهما أن أمر أبيهما عجيب.

لقد وجدا الآباء الآخرين يحبون أبناء هم، ويبدون هذا الحب فى أمور شتى. قد يبدو منهما الحب فى كلمة اشفاق، أو حتى فى كلمة تأنيب وإنانية. أو قد يبدو فى منحة مالية، أو قد يبدو فى اهتمام بدراسة أو اشفاق أو مرض. أما أبوهما فلا يبدى لأى منهما أى عاطفة. انهما يحبهما لاشك لكنه بصلفه وتكبره يختزن حبه ويضن به أن يظهر. إنه يستكبر أن يبين منه شيء. لعله كان ينتقم لنفسه أن آباه لم يظهر له حبه منذ بدأ هو يدرك الأشياء. أو لعله كان يظن أن الأجدد بالأب إلا يظهر منه حب. فمادام أبوه قد صنع هذا فهذا انن هو المثل الأعلى. أما حب أمه له وتقخيرها لشأنه فهذا أمر مفروض، لأنه يرى نفسه فوق البشر، وأمّه لم ترد على أن اعترفت بتفوقه وسموّه، وهو بعد إذا سأل نفسه فيم هذا التفوق أو ذاك السمو، سارعت إليه نفسه بالكثير من توافه الأمور التى تجعله يتأكد أنه صنف فوق البشر، وأنه انسان يسمو على الانسانية.

وهكذا شب باسل وشهاب فى منزل قاتم، الأم فيه تبدو تابعة للأب



## □ نفوس من ذهب وفضة

وهى فى حقيقة الأمر الشخصية المتبوعة لإِ التابعة، لأنها استطاعت فى مهارة أن تجعل زوجها يصنع ما تشاء أن تصنع ببعض كلمات بسيطة من اشباع الغرور. ثم هى بعد ذلك تسحب خلفها كيفما تريد. ويسير الأهل خلفها وهو يظن نفسه يقودها وينفذ كل ما تشاء، وهو يظن أنها هى التى تنفذ كل ما يشاء، والأبنان يكبران ويدركان هذه الحقيقة، فتقلب موازين الحياة عندهما. ويكرهان أباهما لأنهما لم يريا منه شيئاً يستحق الحب، ويعجبان من أمهما لأنها جعلت من أبيهما هذا المسخ الشائن وحين توثقت صلة الأب والأم بحامد عبد البديع وجد باسل وشهاب فى حامد شخصية كريهة.

وربما كانت هذه الكراهية لأنه دخل البيت الذى لم يتعود أن يستقيم أحداً. فقد كانت الأم تريد أن تستولى على الزوج، وكان الناس بطبعهم ينفرون من الزوج. وهكذا كان البيت مقفل الأبواب دون الآخرين. لم يكن فى البيت مع الأب والأم سهير أم يحيى لكانت حياة الطفلين فى البيت جحيماً. فالأم مشغولة بخططها المشروعة وغير المشروعة، والأب مشغول بغروره، ولا أحد يسكب على الطفلين حناناً إلا سهير. وربما أحست سهير أنها هى التى جعلت ابنها موسوماً بهذا الجفاء والغرور، وكانت تعزى نفسها أنها لم تكن تتصور أن يتمادى فيه الغرور إلى هذا الحد، ولكن تلك هى مصيبة المشاعر فى نفوس الناس.. فإنها قبيحة كانت أو حميدة لا تعرف أين ينبغى لها أن تقف. وهكذا تصبح المشاعر القبيحة بالغة القبح، وتنقلب المشاعر الحميدة إلى شيء يدعو إلى الضجر أحياناً، أو السخف أو الملالة فتقلب فى أحيان كثيرة إلى شيء كريه هى الأخرى.

وحين ماتت سهير كان الطفلان يشبان إلى بواكير المراهقة، وانقطع عنهما ذلك المنهل من الحنان فى وقت كانا فى أشد الحاجة إليه. وحينئذ دخل إلى حياتهما حامد. وأحسا نحوه بذلك المقت وإن لم

## □ نفوس من ذهب ونحاس

يدريا لذلك سببا. وأغلب الأمر أن السبب كان فى داخلهما، ولكن حامد استطاع فى مهارة فائقة أن يقترب منهما. وقد كانت السبل مهيأة له من قريب.

لقد عرف كيف يعاملهما كرجلين، وراح يصحبهما معه إلى مزارع أبييهما كلما ذهب لعمل فى مزارع أبييهما أو فى مزرعته هو بعد أن أصبح مالكا لعشرين فداناً هناك. وعرف أيضاً كيف يكون واسطة لهما عند أبييهما، فاشترى كل منهما سيارة وهو يدخل إلى الجامعة.

وأصبح حامد قريباً كل القرب إلى قلب باسل وشهاب، ولم يكن ذلك غريباً فقد كان هو الإنسان الوحيد الذى يدخل البيت لدخول الأقارب. وقد استطاعت معاملة حامد هذه أن تفتح عين الأم على تلك الهوة التى تفصل بين الولدين وأبييهما، بل إنها فتحت عينيها المروعيتين على تلك الهوة هى وبين ولديها.

وهكذا راحت تتقرب إليهما، وتعمل على إسعادهما بكل ما تملك من قوة، ولكنها حرصت كل الحرص أن تكون مصادر هذه السعادة بعيدة عن الأب. فهى لم تكن تريد للولدين أن يحبا أباهما. فهى حريصة أن يدرك الأب أن أحداً لا يحبه فى هذا الوجود إلا هى.

وكان الوالدان يحسان بحنوها، ويحسان أيضاً بهذا الحنو ينقلب إلى قساوة طاحنة كلما اقترب واحد منهما إلى ساحة الأب.

\* \* \*

كان الوقت شتاء. وكان شهاب فى حجراته الخاصة يشاهد التلفيزيون الذى أحضرته له أمه فى عيد ميلاده، ولم يكن معه باسل. ولم يكن ذلك عن جفاء، فقد كانت العلاقة بين الأخوين صداقة صحيحة فرضتها عليهما طبيعة الحياة فى بيت أبييهما أو قصر أبييهما إذا شئت. ولكن باسل كان قد اختار أن يتجه إلى الهندسة حين اختار شهاب أن يتجه



## □ نفوس من ذهب و ندام



## □ نفوس من ذهب ونحاس

إلى الحقوق، فإن الصداقة بينهما لم تستطع أن توحد طريقهما فى الحياة.

وكان لكل منهما حجرته فى البيت، وكانت هذه الحجرة مجهزة بكل ما تصبو إليه نفس شاب. فلكل مكتبته الخاصة، ولكل جهازه الخاص للتليفزيون، وجهازه الخاص للراديو. فلم يكن غريبا أن يفترق الاخوان فى الساعات الأولى من الليل ليصنع كل منهما فى حجرته ما يحلوه. كان التليفزيون فى تلك الليلة يعرض فيلما أجنيا، وكان شهاب مستغرقا فى مشاهدته بعيدا عن واقع الحياة كل البعد.

وانتهى الفيلم، وانتهى الارسال أيضا، رقام شهاب إلى الباب ونظر إلى غرفة أخيه فوجد أنوارها مطفأة. فقد كان يحس أن النوم بعيد عنه. خاب أمله فى السمر مع أخيه، وأقفل الباب وعاد إلى مكتبته فوجد كتابا كان قد اشتراه ولم يفتحه وراح ينظر فى صفحاته. افكر الماركسى والاسلامى. وكان عنوان الكتاب هو الذى اغراه بالشراء، فقد كان يحس كائنا جيله أن النفاق من حوله يمكن أن يقبل جميع القيم والموازين، ولم يستبعد أن يجد منافقا يزعم أن الاسلام يبارك الماركسية، وكان هذا النفاق هو الحديث الذى لا تنقطع مصادره كلما اجتمع شباب. واعتقد شهاب أن هذا الكتاب سيمده بمادة لا تنفد عن سيطرة النفاق المطلقة على الحياة المصرية، بل على الدين أيضا.

أعاد الكتاب إلى المكتبة، فقد كان فى نشوة لا تقبل أن تواجه هذا الانحطاط. بحسب الانسان المصرى أن يواجه النفاق فى الصحف وفى الحياة. لأن الانسان لابد له أن يقرأ الصحف، وأن يعيش الحياة. فإذا خلا إلى نفسه، وأحس بنوع من النشوة فينبغى له أن يحاول نسيان الصحف والحياة العامة وما يسودهما من نفاق، وإلا أصبح شخصا مولعا بتعذيب ذاته دون مبرر.

بحث عن رواية لكاتب يحترمه ووجدها ووجد فيها ما تصبو إليه نفسه



## □ نفوشر من ذهب ونحاس

من انطلاق. واستلقى على السرير وبدأ يقرأ.. لم ترق له بداية الرواية. أقفلها وأطفأ نور السرير، وترك نفسه ترود ما يحلو لها من وديان الخيال أو الحقيقة، أو هما معا متمازجان تتماوج المعالم منهما متناغمة أو متنافرة، وهو ملق نفسه إلى الدفاع لا يكبح جماح الخيال، ولا يهتم بحقائق الواقع. ولم يكن يدري أطلال به الوقت أم لم يطل حتى سمع همسا وخطوات.. وعجب. فإن لكل حجرة من حجرات القصر حمامها الخاص، وليس هناك ما يدعو إلى صوت في الليل أبدا.

قام إلى الباب وفتحه في غير حذر، وفي اللحظة نفسها سمع صوت باب يقفل ثم رأى شخصا ينزل السلم المفروش بالبساط السميك، وعلى ضوء القمر الذي ينفذ كسهم القدر من شبك السلم رأى وجه حامد، هم أن يلحق به، ولكن قدميه تسمرتا، وحين استطاع أن يجرحهما كان حامد قد خرج من الباب الرئيسي. ذهب إلى حجرة أبيه وفتح الباب ولم يفكر. - يايا.

وقام الأب مفزوعا.. هذه هي المرة الأولى في حياته التي يتجراً فيها أحد أن يفتح عليه الباب دون إذن سابق.

- من.. ماذا.. من؟

- هل أنت نائم؟

- هذا هو الطبيعي في ساعة مثل هذه؟

- فماذا كان حامد يفعل هنا؟

- من؟

- حامد!

- حامد من؟

- حامد الذي لا يدخل بيتنا غيره.

- أجننت؟

- يا ليتنى جنت!

## □ نفوس من ذهب ونحاس

وجاءت الأم:

- ماذا؟

- اسمعى ما يقول ابنك.

- حامد نزل الآن من هنا،

- من؟!

- كنت أظنه يعمل مع أبى أو أنا على الأقل. تمنيت أن أجده يعمل مع

أبى، ولكن أبى نائم.

أى امرأة غير بهيرة كان يمكن أن تنهار، ولكن بهيرة شىء آخر.. من

المؤكد أنها طبيعة أخرى غير طبيعة البشر.

- اسم الله عليك يا شهاب! مالك يا ابنى؟

وراحت تجس جبهته.

- آه قل هذا.

- ماذا؟

- الولد نار.. ضع يدك يا يحيى.

ووضع يحيى يده. والعجيب العجيب أنه قال:

- فعلا.. فعلا عنده حمى.

- تعال يا شهاب استند على.

وفغر شهاب فمه ولم يستند على أمه، وإنما استندت هى عليه

وسحبته، ولكن من ينظر إليهما يخيّل إليه أنه هو الذى يسحبها، وذهبت

به إلى حجرته، وقبل أن تدخلها سمعت باب حجرة زوجها وهو يقفل

عليه، ودخلت مع شهاب إلى حجرته وأغلقت الباب وأرادت أن تلقى به

إلى الفراش ولكنه كان قد أفاق من ذهوله.

- ماما! ماذا تفعلين؟

- تنام وتستريح وحبة اسبرين تصبح بكرة فى أحسن صحة.

- ماما! كيف استطعت أن تقنعيه اننى محموم؟



# ☐ نفوش من ذهب و نالار



## □ نفوشر من ذهب ونداسر

- لأنك محموم فعلا.
- ماما !!!
- انتظر قليلا حتى أحضر لك الاسبرين وبعض الثلج.
- أخرجى من هنا.
- ماذا تقول؟
- أخرجى حالا قبل أن أعمل ما أريد أن أعمله..
- شهاب.
- أخرجى..
- وأمام نظراته القاتلة خرجت بهيرة.

\* \* \*

مسكين يحيى.. لم يكن ما قاله ابنه جديدا عليه.. كان يعرفه.. وفكر كثيرا.. كيف يمكن أن يعالج الموقف.. أ يطلقها فتصبح الحقيقة مدموغة بورقة الطلاق الرسمية.. وهل تحتل كبرياؤه هذا.. أ يكلمها.. وتعرف أنه يعرف.. سكت واحتمل وكان كل أمله ألا يعرف أحد آخر.

واليوم عرف شهاب.. ماذا سيفعل شهاب؟

استطاع هذا السؤال البسيط أن يبقى يحيى مؤرقا حتى الصباح.

\* \* \*

لم يقل شهاب شيئا لأبيه، ولكن العباء كان أكبر من أن يحتمله وحده.

قال لأخيه.. وارتمى الأخوان فى دوامة قاتلة من الخزي والشعور بالمهانة.

- أبلغ تأثيرهما عليه إلى هذا الحد؟
- اسمع! إن أبى يعرف.
- ماذا تقول؟
- لا يمكن. لابد أنه يعرف.
- على كل حال ان لم يكن عارفا فقد عرفته أنا، ورفض أن يعرف.

## □ نفوس من ذهب وفضة

- شهاب! ماذا ستفعل؟
- لا نعرف.
- كيف سننظر إلى أم عاهر، وأب ديوث، وصديق خائن؟
- نحن الآن لا نستطيع أن نفكر.
- لابد أن نفكر.. ماذا سنفعل؟
- نطلب منهما أن نعيش في بيت وحدنا.
- ربما يرفضان.
- لا نتكلم عنهما.. تكلم عنها وحدها. انها تفعل ما تريد.. هو لا شىء.
- بكل صمته المهيّب ويكل عظّمته المتجهمّة هو لا شىء.
- إذن سترفض.
- لا تستطيع أن ترفض لنا شيئاً الآن.
- لماذا؟
- بعد الذى رأيتّه.
- انها متأكّدة انك لن تقول لأحد.
- فعلاً. ولكن لماذا ترفض؟
- بماذا تبرر خروجنا من القصر؟
- إذن لا يدخل حامد هذا بيتنا.
- ولا هذا.. الظاهر أنك لا تعرف قيمة حامد.. انه صديق الحكام اليوم.
- وهو الذى يحمى بيتنا أن يؤخذ، وحمى أبى أن توضع عليه الحراسة.
- حراسة.. أيقبل هذا الوضع خوفاً من الحراسة؟
- لا تبالغ فى ظلمه. ربما قبله حتى لا يعرفه أحد.
- اسمع! لابد أن نجد حلاً.. لن نستطيع العيش فى هذا البيت، بل لن نستطيع العيش فى مصر كلها.
- وجدتها.
- ماذا؟



## □ نفوثر من ذهب و نبال

- نسافر إلى الخارج.
- نهرب؟!
- نهرب.
- ولكن الحقيقة التى نعرفها أنستطيع أن نتركها هنا؟!
- هناك دنيا أخرى.
- ولكنها لن تستطيع أن تتلع الحقيقة التى نعرفها.
- على كل حال هذا خير من أن نرى هؤلاء الناس.
- أى شىء خير من أن نرى هؤلاء الناس!
- إلى أين نسافر؟
- إلى فرنسا.
- ولماذا فرنسا؟ نسافر إلى انجلترا.
- أولا لأننا نتقن الفرنسية.
- وهذا سبب يجعلنا نسافر إلى انجلترا، حتى نتقن الانجليزية أيضا.
- الحقوق دراستها فى فرنسا، والهندسة أيضا. أما فى انجلترا فستكون دراسة الهندسة فقط هى الممكنة. فالقانون الانجليزى بعيد كل البعد عن القانون المصرى.
- لولا الظروف التى نمر بها، لكنت تركتك تسافر إلى فرنسا، وسافرت أنا إلى انجلترا، أما الآن فلا بد أن نكون معا دائما.
- ومسألة اللغة بسيطة يمكن أن نقضى الاجازة الصيفية كلها فى انجلترا لدراسة اللغة.
- فكرة.
- وسافر الاخوان وتركوا القصر العظيم يضم بين أحنائه تكبره وخسته وجراحه وخيائنته. ولم يقدرا.. وكيف لهما أن يقدرا أن القلب المتكبر الكسير لذلك الرجل الذى استطاع أن يكرهاه انصدع حطامه بسفرهما صدعا الموت أهون منه، ولكن طول التكبر منه عودة تلبس الكبرياء فانحنى على صدوع قلبه الذى أمسى شظايا.. وصمت.



# □ نفوس مر دهب و نكاه



## □ نفوس من ذهب وفضة

لا يستطيع أحد أن يقدر أثر الرواية المقروءة المعروضة على مسرح أو شاشة السينما أو التلفزيون أو المذاعة التقدير الصحيح. فإن هذه الروايات أفسدت حياة الناس ونغصت عليهم عيشتهم تنغيصاً فريداً حتى لا يجرؤ شيء آخر أن يسابقها في هذا المضمار. فقد ظلت هذه الأعمال التي تطلق عليها أعمالاً فنية ترسم البيت السعيد رسماً غاية في السذاجة والعبث. فالزوجة تطعم زوجها بيدها، وتأتى له بالحذاء وتتولى شئون ملبسه، وتحاول دائماً أن تضحك معه، ولا تطلعه على شيء يكدرها أبداً حتى لا يمتد الكدر إليه، وهي طبعاً تطيع أوامرهم مهما تكن هذه الأوامر سخيفة. وتحرص هذه الأعمال الفنية أن تجعل حياة الزوجين جميعها على هذه الوتيرة الواحدة التي يتخللها الكتاب السذج سعادة لا تدانيها سعادة، وهناءة لا تماثلها هناءة. وأغلب الأمر أن هؤلاء الكتاب يلقون من زوجاتهم عنقا ورهقا يجعلهم يهربون من واقع حياتهم النكد إلى دنيا يخلقونها بأحلامهم وأخيلتهم. وهكذا ليس بدعاً أن تصبح دنياهم تلك التي يصطنعونها دنيا مهبولة تفيض سخافة وعبثاً.

ولو وقف الأمر عند هذا لأصبح مقبولا. وأى ضير أن يهرب كاتب أو



## □ نفوشر من ذهب و نداء

أى شخص من واقع مرير إلى حلم وهم سعيد، مادام بهذا يقرعينا ويسعد.

ولكن الكارثة الكبرى أن المنتجين والمخرجين يأخذون الأمر مأخذ الجد، ويعرضون هذه الأعمال على الناس.

وهكذا تقوّل الحب فى حياتنا فى هذا القلب المضحك، فالزوجة التى لا تطعم زوجها بيدها، ولا تطيع كل سخافات، ولا تأتى له بالحذاء أو النعل، ولا تطبخ له كل ما تهفو إليه نفسه، تصبح عند الأزواج الذين شاهدوا هذه الأعمال أو قرأوها امرأة لا تعاشر. وهى فى عرفهم تكرهم ولا تحبهم. ومن الزوجات من صدقت هذه الصورة وحاولت أن تنفذها فى أيام زواجها الأولى. ولكن قليلا تنقلب حياة الزوج إلى جحيم، وليس هذا منه بعجيب. فقد رسمت له الأعمال التى رآها الجنة بهذه المعالم المضحكة. فحين يصطدم بغيرها يصبح من الطبيعى أن يرى حياته جحيمًا. فنقص أى معلم من معالم هذه الجنة الفنية هو عنده جحيم. وويل للزوجين إذا كانا تحابا قبل الزواج. فإن كلا منهما سيتوقع من الآخر أن يقتل نفسه وهو سعيد ليقدم لحبه كل ما يمكن أن يخطر ببال هذا الحب. حتى إذا تم الزواج، وعاد كل من الزوجين إلى طبيعة البشر، انكشفت الحقيقة الرهيبة، أن الرجل إنسان بشر، وأن المرأة إنسانة بشر، وتصطرع الحياة على أنغام تغير الحروب بعد أن كانت ساجية بين المحبين على أنغام موسيقى الملائكة.

وفى أتون هذه الأوهام تحطم كثير من حب كان صادقا، ولكنه كان مجنونا ودمرت زيجات كان يمكن أن يفوح منها عبير يانع عن أيام مخضلة بندى الحنان والمودة، ولكنها جهلت الواقع ولم تستطع الأيام أن تنقلب عندها إلى أحلام وأوهام ورؤى.

ولكن أسامة كان محصنا ضد الأوهام، فلو أن الحياة سارت بأبيه رخاء كلها، ولو أنه ترك لأمه وحدها لواجه فى كل متجه من حياته ذلك الحلم الباسم المستبشر الذى ينقلب إلى واقع كشر متجهم ذى أنياب ونصال ومدى.

لقد صاحبت نمو أسامة تلك الأزمة التى تعرض لها أبوه، ووعى أباه

## □ نفوس مر ذهب و نكاح

وهو يركب الموتوسيكل السيدكار، وهو ما يزال يذكر أمه وهي تعتذر عن عدم قبول الدعوات حتى لا تصبح مضطرة أن تردّها بمثلها، ورأى بيته والطعام فيه معدود بقدر الأشخاص بعد أن كان دائما موفورا لا يحصيه حجما ولا عددا، حتى لقد كان الخدم يدعون من يشاءون من خدم الجيران. ورأى أمه تمكث السنة بأكملها لا تدخل بيتها خياطة، ورأى أباه لا يفكر في شراء قمماش جديد لنفسه سنوات، ولكنه أيضا يذكر أن ملابسه هو دائما كانت تتجدد، فلم تعد على مظهره إشارة من ضيق يد، وأدرك كيف كان أبواه يجنبانه دائما أن يحس بما يمران به. وحسب الجانبان أن ابنهما لم يشعر بشيء وحنا هو عليهما فلم يشعرهما أنه أحس بشيء.

ومرت بهم هذه الأيام النكدة الماجدة، واستطاع أسامة بضرية حظ أفلس فيها أبوه أن يصبح هو من أغنى الناس نفسا، واستطاع أن يعرف أن الحياة التي تعطى تستطيع أن تمنع، وأن الإنسان إذا لم يعرف من الحياة حالتها صار فيها هشا هينا جاهلا أو أحقق تصرعه أي ربح من رياح الحياة.

ورياح الرخاء والغنى والدعة والهناء تحمل في طواياها نفس الأخطار التي تحملها رياح الفقر والحاجة والعوز والشقاء.

وإذا كان الإنسان يحتاج أن يكون قويا ليواجه الحياة وهي تطحن وتفترس بمخالب الفقر، فهو محتاج أن يكون أكثر قوة ليواجه الحياة وهي تبتلع وتمحو من الإنسان إنسانيته حين تفرش الذهب والماس تحت الأقدام.

استطاعت هذه الفترة النكدة أن تجعل من أسامة إنسانا يعرف تقلبات الحياة، الأمر الذي لم يستطع المسكين يحيى أن يعرفه. فلو كان يحيى قويا في لقاء الغنى لما انهدمت به الحياة، ولما تصدعت جوانب نفسه ولما خلت الحياة عنده من كل معنى للحياة.

في هذه الأيام النكدة التي شهدتها قصر راشد باشا كانت أسرة فهمي عبد الحميد من الأسرات النادرة التي تأتي للقصر أغلب أيام الأسبوع. وتوطدت علائق الصداقة بين خديجة وبين نعمات زوجة

## □ نفوس من ذهب وفضة

فهى.. وفى فناء القصر لعبت جميلة مع أسامة. كانت تصغره بعام وبعض عام، ولكنه لم يكن رآها قبل أن تصبح أمها صديقة لأمه. لم يكن حبا ذلك الذى نما بينهما، وإنما كان ألفة وكان يأنس إليها، وكان يخيل له أنها تأنس إليه. ولم يكن يدرى يومذاك شيئا عن الصلات التى تجمع بين أبيها وأبيه. وما كان يستطيع أن يعى هذه الصلات ولا أن يفهمها.. وكيف لمثل من كان فى سته أن يفهم هذه الحرب وهذا العداء، ثم هذا الحب وذلك الايثار، وكيف يستطيع أن يعى فى براءته الإنسان يسفل إلى هذه الخسة، ثم يعلو هو نفسه إلى هذه السموة. لم يكن يدرى شيئا وإنما كان يأنس إلى جميلة وكان يألّفها. وكان يحب أن تاتى ويحب أن يلعب معها طفلين، ثم أصبح يحب أن يحكى ما يجرى له فى المدرسة، ثم أصبح يحب حين باكرته الرجولة، ونهدت هى إلى الأنوثة أن يحادثها عن كل شىء ويستمتع منها عن كل شىء.. وكانت تحس أن ما يقوله لها لا يقوله لسواها، وكانت تعرف أن ما تقوله هى له لا تقوله لسواه على براءة ما يقول وما تقول.

وحين تزوجا كانت بينهما هذه الألفة الحنون التى تكون بين الزوجين، ولم تكن الناحية المالية تشكل لهما أى عقبة، فقد استعاد راشد ثروته وكتبها جميعا باسم أسامة، ولو أن هذا لم يكن يعنى شيئا بالنسبة لأسامة فى حياة أبيه، فقد كان راشد هو الذى يتصرف فى كل دخله. وقد تزوج أسامة ورشد مازال على قيد الحياة، وكان راشد سعيدا بهذه الزيجة أشد السعادة كما سعدت بها أيضا خديجة. وحين استقر الزوجان الصغيران بالمنزل تنازلت خديجة عن سيادة البيت، وجعلت لجميلة اليد الطولى والوحيدة فى إدارة البيت، وحلا لها أن تأخذ المكان الذى أخذته منها هانم أفندى حين تزوجت هى راشد، وسعدت خديجة بمكانها هذا الجديد، وقد استطاعت جميلة فى ذكاء أن تجعل خديجة دائما فى مكانة عليا وأمرها مقدسة وراحتها موفورة قبل أن تتوفر لزوجها أروحتى لحميها.

وحين مات راشد كان أسامة قد عمل فى الحمامة، ووجد نفسه فى مهنته، فاستطاع أن يكون حكيما فى تصرفاته المالية يعيش عيشة

## □ نفوس من ذهب ونحاس

كريمة، ولكنها بعيدة عن السفة.

وكان من الطبيعي أن تختلف جميلة وأسامة في أيام زواجهما الأولى، ولم يكن أسامة يدهش أن يجد أباه وأمه يقفان إلى جانب زوجته حتى وإن لم تكن محقة. فقد وجدا عندها طاعة الأبناء وحبهم.. هذه الطاعة وذلك الحب الذي يصبح موضع اكبار إن جاء من غير الأبناء:

وحين مات راشد ظلت جميلة التي أصبحت ست البيت فعلا لا تفضلا أكثر عناية بحمايتها وأكثر رعاية لها وحدا عليها.

وحين تتابعت قوانين الإصلاح الزراعي ابتلعت الغالبية العظمى من ثروة فهمي عبدالحميد، فلما مات كان ما تركه من مال يكاد لا يقوم بشأن أولاده، فكان أسامة يعوضهم عما أصابهم كلما سنحت فرصة لا تجرح كرامتهم، وأصبح يحث زوجته أن تعطي أخويها كل ما يحتاجان إليه حتى لا يحسا بعنت الحياة، إلا أن الأخوين وجدا أن الأمر لا يمكن أن يستمر على هذا المنوال، فكتب كل منهما توكيلا لأسامة ليدير ما بقي من أرضهما، واتجه الأكبر جميل إلى الكويت، واتجه الأصغر صبحي إلى السعودية. ومرت الحياة بالزوجين أسامة وجميلة طيبة لا يشويها إلا ما يشوب البيوت السعودية من خلافات يحوها الحب، أو شجار يعصف به الحنان.

وأنجبا راشد وفهمي، وراحت الحياة تكرر نفسها مع الطفلين ليدرجا في طريق درج فيه أبواهما من قبل. قد تختلف تفاصيله، ولكن المعالم الأساسية فيه واحدة.

وحين كسدت سوق المحاماة المدنية، وفكر أسامة أن يتجه كما اتجه كثير غيره إلى البلاد العربية، جاءت أمه مرسيلة لتغير متجه حياته جميعا.

فمنذ ذلك اليوم الذي قصدت فيه إلى مكتبه أصبح أسامة من أكبر المحامين في القضايا السياسية، ولم تكن هذه القضايا وحدها تكفي مكتبه، ولكن ذبوع اسمه فيها جعله بعيد الصيت في القضايا الجنائية، وانتعش المكتب، واستقر أسامة، وأصبحت الحياة أمامه هائلة سعيدة، ومن أسعد من رجل بارع في عمله يعترف الجميع ببراعته.

# □ نفوش مر ذهب و نيلام



## □ نفوشر من ذهب و فلاح

وهل هناك اعتراف أعظم من تلك الدعوة التي جاءت إليه عن طريق ضابط دخل إلى مكتبه بغير إذن ليقول له فى محاولة فجأة للتلفظ:

- سيادتك مطلوب.

- أنا؟

- نعم.

- من الذى يطلبنى؟

- ستعرف حين تذهب.

- اذهب.

- سأذهب معك.

- إلى أين؟

- ستعرف.

- لماذا؟

- ستعرف ذلك أيضا.

- أهو قبض؟

- لا. المسألة لن تصل لهذا.

- لقد وصلت فعلا؟

- إنها مجرد دعوة.

- هل تستطيع الاعتذار؟

- طبعا لا.

- فهى أمر بالقبض وليس دعوة.

- سيادتك تستطيع أن تسميها كما تشاء.

- ألا أخبر البيت؟

- لا داعى.

- مجرد مشورة. أم هو أمر ألا أتصل؟

- لا داعى والسلام.

- ومن أين يأتى السلام؟

- تفضل.

- حاضر.

# □ نفوشر من ذهب ونحاس



## □ نفوس من ذهب ونبل

حين وقعت هزيمة يونيو كان باسل وشهاب فى باريس، وشاهدوا القضية العالمية على شاشات التليفزيون، وراح كل منهما ينظر إلى الآخر تحجب صورة كل منهما عن الآخر دموع غزار لا تريد أن تنضب. ولم يكن عجيبا أن يفكر كل منهما أنهما كأنما يواجهان حادثة أمهما مرة أخرى، ولكنهما فى هذه المرة أحسا أن العالم أجمع يعرف السر الذى ينطويان عليه، بل أحسا أن التاريخ أيضا أصبح يعرف هذا السر الذى لم يصبح سرا.

لم تصبح علاقة أمهما الأئمة حادثة يخفيها جدار بيت، وإنما أصبحت مثار اهتمام العالم أجمع.. التليفزيون والسينما والاذاعة والصحف فى العالم لا حديث لها إلا عن أمهما.. وتتكرر النصال على النصال.

لقد كانا يغفران للحكم المصرى كل ما يسمعانه من قهر الأدمية، وقتل الأبرياء، وخنق الكلمات، ومحق رأى، وهدم الانسان فى سبيل



## □ نفوس من ذهب و نبال

أن يكون هناك جيش قوى يواجه العدو.  
ثم وفى ساعات تصبح مصر والعروبة جميعا أهزوء التاريخ على  
يد الجيش المصرى!  
قلبا علىك يا مصر.. عرفا أن أمهما أصيبت بالسرطان، وأنها  
تنتظر الموت فى أية لحظة.

- نذهب.

- أتريد أن نذهب؟

- أمام الناس.

- وأمام نفسينا كيف سنراها!

- وأبى.

- هل نستطيع أن نصنع له شيئا؟

- الكثير.

- سيتجهم.

- ولكن قلبه سيفرح حين يرانا.

- هل رأيت قلبه؟

- لا. لم أره.

- كل الأبناء رأوا قلوب آبائهم فى ابتسامة، فى فرحة لقاء، فى اهتمام

بمرض، فى سعادة بنجاح.. هل رأيت قلب أبائك؟

- ولكن له قلبا.

- كيف نعرف؟

- لقد ستر على أمنا.

- يخشى على كبريائه.

## □ نفوس من ذهب و نبال

- كان يستطيع أن يطلقها ولا يبدي الأسباب.
- لقد تعود أن تكون بجانبه.
- وهي لغيره؟!
- إنه مشغول دائما بنفسه.
- لعله خاف أن يذكرنا أحد بسوء.
- تحاول أن تجعل لنا أهمية عنده.
- إننا جزء منه.
- في شهادة الميلاد فقط.
- إنه يخفي مشاعره.
- كان يستطيع أن يجعل مشاعره تخونه مرة واحدة مادام استطاع أن يجعل زوجته تخونه دائما.
- إننا لا نستطيع أن نعرف ما بداخله.
- مادمت لم أر له ظاهرا كيف أعرف داخله؟!
- هو الآن جازع.
- مرض زوجته قاتل.
- مصر كلها تعاني مرض مصر ومرض زوجته!!
- أتريد أن تسافر؟
- لا أعرف!
- فكر.
- أريد أن أرى أمي، وأريد أن أرى مصر، ولا أريد أن أرى أمي ولا أريد أن أرى مصر.
- لم يبق لنا إلا نفسانا.
- أخشى أن نقتل أبانا بما نفعله.

# □ نفوس من ذهب و نیک



## □ نفوثر من ذهب و نباله

- وأنا أخشى أن نقتله إذا رأنا ونحن على هذه الحال.
- لا نذهب إذن.
- لعلنا نكون أشفق عليه لو لم نذهب.
- ومصر.
- ستكون أشفق بنفسينا إذا لم نذهب .
- لعل مصر تحتاج إلينا .
- إنما تحتاج للمنافقين والدجالين والهتافين والهازلين.
- لعلها الآن تحتاج للجادين.
- لو كانت، ما سمت الهزيمة نكسة وكأنها انقلونزا!
- إذن.
- نبقى..فما بقي لنا إلا أنفسنا .
- معك حق..نبقى..فما بقي لنا إلا أنفسنا .

# □ نفوٹھ من ذھب و نلاس



## □ نفوس من ذهب و نبال

استطاع وحدى أن يغري زوجته بالكثير من الحفلات يدعولها كل صاحب سلطة.. وهذه الحفلات لا تكلف المالك والمشرّب فقط، وما هو بقليل. وإنما تكلف معها ملابس لكل حفل، وقد استطاعت ناهد في غمرة هذه الحفلات أن تبيع أملاكها جميعا، وراحت تشتري بأثمانها مجوهرات لا يعرف زوجها عنها شيئا، ودبرت ناهد أمرها أحسن تدبير، وراحت تفحص الأشخاص الذين تعرفت بهم في حفلاتها واختارت أخطرهم شائنا، وساعدها الحظ فكان أيضا أشدهم غيبا، فألقت عليه شباكا قناصة لا تفلت صيدا.

وكان من الطبيعي أن يظن نفسه ساحر نساء، وهادم قلاع، وفاتح حصون. وما كان ذا فكر ليمعن به النظر، وليتبين أن الذي يتوهم أنه سحرها إنما هي التي سحرته، وأن القلاع التي هدمها كانت بلا جدران إلا بابا على الصحراء، فهي مفتحة من جميع جوانبها، ومن ثم فلا حصون هناك لتفتح.

أغرته ناهد، وقبل الأغراء، وأعد لها - وما كان أيسر هذا بالنسبة إليه - شقة كانا يلتقيان بها.. وما هي إلا لقاءات قليلة حتى واجهته ناهد:

- لا يمكن أن يستمر الحال هكذا.

- لماذا؟

## □ نفوس من ذهب و فاس

- أتحسب أن أمرنا لن يعرف؟
- لا يمكن أن عرف.
- إذن اطمئن.. لقد عرف فعلا.
- كيف؟
- أنت فى نومة!!
- أنت التى تتوهمين أشياء لا ظل لها من الحقيقة.
- يا حبيبى فكر.. أنت شخصية مهمة جدا.. كيف يمكن أن تكون تنقلاتك مطلقة هكذا من غير عيون حواليك؟
- ماذا؟
- أنتشك فى هذا؟
- انتظرى.. انتظرى.. يظهر أنك على حق.
- كيف؟
- بالأمس.. نعم لك حق.. فعلا.
- ماذا حدث بالأمس؟
- قال لى كلاما مبهما فيه هذا المعنى.
- مثل ماذا؟
- مثل ماذا.. مثل.. كل واحد منكم حر.. وأنا عارف أن كثيرين منكم لهم ليلى يهيم بها.
- أرايت؟ ولكن ماذا يعنى ليلى؟
- لعله يقصد ليلى المجنون.
- أو غيرها.
- سألته أحدها أى ليلى تقصد؟
- قال.. لك حق..
- ماذا قال؟
- قال ليلى.. ناهد.. أو جواهر.. لا يهم.
- أرايت؟

## □ نفوثر من ذهب ونحاس

- فعلا.
- إذن ماذا ترين؟
- مادمنافى مصر لا أمان لنا.
- وماذا تريدین؟
- أسافر.
- إلى أين؟
- إلى الخارج.
- وأنا.
- أنت ستجد أن الاتصال بى فى الخارج أسهل من الاتصال بى هنا. الطيارات كلها تحت أمرك.. أقیم فى فرنسا أو سويسرا أو إنجلترا.. وكل شهر تأخذ أسبوعا أو أكثر وأقل اجازة ويكون على حريتنا.
- متى تستطيعين السفر؟
- الآن إذا استطعت أنت.
- ووجدى؟
- اتركه لى.
- \* \* \*
- سأسافر.
- مع السلامة.
- إلى الأبد.
- ماذا؟
- وهل تعتقد أننى أصرف هذه المبالغ لأبقى فى مصر؟
- وأنا؟
- أنت حر.
- أنا مستقبلى فى مصر.
- مع من؟
- مع هؤلاء الذين نعرفهم.



## □ نفوس من ذهب و نكاح

- أنت مستهلك الحقيقى فى بيع رجولتك.
- ماذا تقولين؟
- لاتدعى الدهشة.. أنا عارفك وأنت تعرف اننى عارفك.
- وافرض.
- الستات اللواتى يشتريين رجولتك تركن مصر.
- بعضهن مازال هنا.
- هؤلاء لا يدفنن ما يكفيك.
- مع وظيفتى فى الاتحاد الاشتراكى.
- والمخابرات.
- وتعرفين هذا ايضا؟
- أنت لا يكفيك هذا جميعه.
- إذن.
- سافر.
- وأرضى هنا.
- وماذا سيجرى لها؟ ستبقى وستظل تدخريها وتنفق من ريع أعمالك.
- أسافر معك.
- لا.. فى الخارج لا يمكن.
- لا يمكن ماذا؟
- كنت هنا اشترك لتكون ستارا أما فى الخارج. فانا لا احتاج لهذا الستار.
- والنقد فى الخارج لها قيمة أخرى.. إنها فى الخارج عملة صعبة.
- ماذا تعنين؟
- العقد بيننا انتهى.
- ولكنك لاتستطيعين السفر من غير إذن.
- وجدى؟! هل أنت جاد؟
- طبعاً لا.
- إذن.

## □ نفوثة من ذهب ونحاس

- تكلمين الذى سهل لك السفر يرفع درجتى.  
- فى المخابرات أم فى الاتحاد الاشتراكى؟  
- المخابرات أهم.  
- لامانع.. العشرة على كل حال لا تهوون.  
- تظاهرى اننى لن أوافق على السفر.  
- تقصد الطلاق.  
- كله واحد....  
- هناك فرق.  
- لم يختلف قولى اننى لن أوافق على الطلاق إلا اذا أَرْضانى هو وضحك على بترقية.  
- أنظن اننى احتاج لدروسك.  
- أسف.. نسيت نفسى.  
- فعلا.

\* \* \*

وسافرت ناهد، وحمل حقيبة المجوهرات صديقتها ذو السلطان، وسلمها لها فى الطائرة.. وكانت التذكرة إلى لندن.. وكانت هذه التذكرة هى نهاية العلاقة بينهما.  
فقد قدر لصاحب السلطان أن يفقد سلطانه، فلم يعد يستطيع السفر. والشئ الذى مات دون أن يعرفه هو أنه باليقين والقطع كان لن يجدها فى ذلك العنوان الذى اتفقا على اللقاء فيه بلندن.

\* \* \*

لم يكن عجيبا إذن أن يستقبل أسامة عند اعتقاله وجدى جالساً على مكتبه فى مبنى المخابرات العامة.  
لما كان أسامة يعرف وجدى، ويعرف قصته جميعاً، البائدة بمولده، والمارة بزواجه، والتي لم تنته بعد، لم يجد أسامة أى غرابة فى هذه الابتسامة الفاجرة التى لا تبالى شئاً، والتي فى نفس الوقت توضح أى درك من الوضاعة ابتدع صاحبها.  
- أهلاً أسامة بك.

# □ نفوس من ذهب و ناس



## □ نفوس من ذهب و نبال

- أهلا .
- ألا تذكرنى؟
- آسف!
- أنا وجدى .. وجدى عبد المحسن .. والذى ووالدك كانا صديقين ونحن نقابلنا كثيرا ولكنك تنسى ..
- فعلا كثيرا .
- أم تراك تنسى حين تحب أن تنسى؟
- المؤكد أن طريقة الدعوة أو الاستدعاء التى تفضلت بها على تجعل الإنسان ينسى أشياء كثيرة، حتى التى لا يحب أن ينساها . وهل كثير علينا أن نعطينا بعض وقتك؟
- يا أستاذ ..
- وأدرك وجدى أنه يصر على تجاهله، ولكنه لا يعنى كثيرا برأى الآخرين، فهو يكمل فى ابتسامته الفاجرة .
- وجدى .. وجدى يا أختى .
- المؤكد أن هذا ليس هو موضوع الحديث الذى تريدنى فيه .
- طبعا هناك ما أريد أن أكلّمك فيه .
- أنا تحت أمرك .
- أصبحت المحامى الأول فى كل القضايا السياسية يا أسامة بك .
- وهل هذا ممنوع؟
- المظهر لا يليق .
- ما المظهر الذى لا يليق؟
- كأنك تأخذ من العهد موقفا مضادا .
- ياسيدى أنا أترافع فى القضايا التى يرى العهد أن يسمح للمحامين بالترافع فيها، والقضايا الأخرى لا يترافع فيها أحد . فماذا يضير أن أكون أنا المحامى أم غيرى؟
- خفف من قبول هذه القضايا .. يكفيك قضايا الجنايات، وخصوصا قضايا

## □ نفوس من ذهب و نبال

المخدرات.

-كيفينى من أى جهة تقصد.

-القضايا الجنائية، وخاصة قضايا المخدرات أتعابها كثيرة.

-سيادتك شهادتك فى القانون؟

وأوشك وجدى أن يغضب بهذا التجاهل الكامل من أسامة. فهو واثق أنه يعرفه

كل المعرفة.. ولكنه تماسك.

-فى القانون.. أنا خريج دفعة..

-لا يهم.. المهم أنك خريج حقوق.. أترى أن المحاماة أتعاب فقط.. ألا ترى فيها أى

شئ آخر؟

-طبعاً.. طبعاً.. هذا لا شك فيه.. واجبك نحو العدالة ونحو موكلتك.

-الذى نقوله صحيح. ولو خلا من رنة السخرية يصبح هو الحقيقة.

-أنا لا أسخر استغفر الله.

-المهم.. المطلوب منى الآن الأقل قضايا سياسية.

-والله يستحسن.

-أهذا كل شئ؟

-ألف شكر.

-تسمع لى.

-تفضل.

وقام أسامة، وأوصله وجدى إلى باب الغرفة، وصافحه مرة أخرى، وأغلق

الباب، وأخذ أسامة طريقه إلى الباب الخارجى. ولكن ما هى الإخطوات قلائل

حتى وجد نفسه محاطاً بقوة من الشرطة، ثم أغلقت عليه أبواب السجن.

مكث أسامة فى السجن لا يعرف شيئاً عن تهمة، ولا تعرف أسرته عنه شيئاً.

كان الذى رآه أسامة فى السجن بعضاً مما كان يسمعه. لم يقع عليه هو تعذيب

جسمانى. فهو لم يكن يخفى شيئاً يريدونه أن يبيده، ولكنه عومل كما تعامل الكلاب

الجرياء. وكانت هذه المعاملة مع ما يرى الآخرون يجرعونه نوعاً من التذليل

والرفاهية.

## □ نفوشر من ذهب و نكاس

انصب عذاب الآخرين على نفس أسامة حتى لقد كان يخيل إليه أنه يعذب عذابهم أجمعين.. ولم يكن يشعر بنسمة فرح إلا حين يموت أحد المسجونين فيحس أسامة أن إنسانا أنقذه الله من براثن الغيلان المتشحة بجلود الأدميين والعجب أن أسامة كان يحس أن الذين يقومون بالتعذيب فى حاجة إلى الشفقة، لأنهم هم أنفسهم ما هم إلا أصابع الحاكم يفترس بها أدمية البشر، وإنسانية الإنسان، ويتمنى الموت للمسجونين جميعا، ولنفسه قبلهم، ويذكر قول المتنبي:

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكن أمانيا

وكان يعجب.. يستطيع الحاكم أن ينام.. أن يستطيع أصابعه هذه أن يهدأ لها ضمير.. وما هى إلا أيام حتى رأى فى وجوه الذين يقومون بالتعذيب علامات لم يكن قد تعرف عليها أول الأمر. وكيف لإنسان أن يرى على وجه وحش قسماآت أدمى ويتعرف عليها. علامات لم يشهدها على وجوه بشر قبل اليوم.

لقد تغيرت ملامح البشرية فى وجوههم.. انقلبوا إلى جنس من المخلوقات غريب عن الأجناس التى يعرفها الكون أو يالفها الناس.. نوع من المخلوقات؟ لا هو إنسان ولا هو حيوان.. ولم يستغرب هذا الذى تبينه. فالإنسان لا يستطيع أن يصب هذا العذاب جميعه على مخلوق آخر، إنسان كان هذا المخلوق، أو كان حيوانا.

والحيوان حين يهاجم الفريسة لا يقدر أنها إنسان أو هى حيوان، وإنما فيها طعامه، وهو يريد أن يأكل أو يرى فيها عدوه. وهو يدفع عن نفسه، فالحيوان المفترس المتوحش طبيعى ومعقول فى كل هجوم يقوم به، وعمله جميعه له مبرره ومعقوليته. فما هذا الجنس إذن الذى يعمل فى هذه السجون، وأين يصنعه العهد وكيف ركب، ومن أى مادة تكون هيكله وضميره. إن المفترس فى وجوههم يرى مادة جديدة من المخلوقات يشك كثيرا أن تكون يد الرحمن قد مستها.. إنما هم كالحاكم الذى يأمرهم! سرطانات بشرية.. خلايا تفجرت من طين بلا روح.. ومن شر بلا خير، ومن مادة متوحشة عجنها إبليس وخلا تركيبها من ضمير أو قلب أو شعور. مريأسامة شهر وثان، وأوشك الثالث أن يكتمل، فإذا الغطيشب فى السجن، وهمهمات وجمجمة وهمس يفضى إلى همس، ورؤوس تميل فى براءة، وتعتدل فى أسى وجزع.. إنها حرب يونيه.. وفتحت أبواب السجون لا لتخرج أحدا وإنما

## □ نفوس من ذهب و نداء

لتبتلع آخرين عرف منهم أسامة كثيرين.. ورأهم وهم يجلسونهم القرفصاء فلا تحتمل سيقانهم. فأغلبهم تجاوز الشباب، وأصبح يتوكأ إلى الشيوخوخة، وما تحتمل سيقانهم ما يريدونهم عليه، ولكنهم جلسوا القرفصاء، ورفعوا أيديهم فوق رؤوسهم كقروء يديرها عفريت من الجن.

الوجوه غير البشرية، وغير الحيوانية، فيها رعب، وفيها حيرة، وفيها جزع.. إنها تخاف من المسجونين.. المسجونون عزل وبلا سلاح، وهام أولاء جالسون القرفصاء، وأيديهم فوق رؤوسهم، والسجانون بيدهم الأسواط، ويدهم أدوات التعذيب الكهربائية والحديدية، ويدهم دائما الأسلحة النارية والمدافع السريعة الطلقات.

ولكن المسلحين بالآلات التعذيب وبلا أسواط وبلا بارود والمدافع يخافون من هؤلاء العزل الجالسين القرفصاء، والواضعين أيديهم فوق رؤوسهم.

أهو موقف الحق الأشم أمام الظلم الخامس.. أم أن الخلايا السرطانية من أعوان السرطان الأعظم قد أصابتها روح من البشرية ألقته إلى نفوسهم أنباء الحرب.. لا أحد يرى!!

مرت أسابيع قلائل بعد الخامس من يونية، وأفرج عن بعض المسجونين وكان أسامة من بينهم.

خرج فوجد أمواله جميعا تحت الحراسة والبقية الباقية من أموال زوجته. بل إن أموال خديجة وضعت تحت الحراسة، وصدر الأمر الخاص بها باسم حرم المرحوم راشد برهان. ولست أدرى هل ارتجفت يد المارد الرعدي، وهو يضع تحت الحراسة أموال ميت أصبح في ذمة الله، أم إنها كانت ثابتة متبججة. أغلب الأمر أنها لم ترتجف، فالرجفة لا تبتعثها إلا بقية من آدمية.. وهيها. ولو عرفوا الحق لتبين لهم أن خديجة لم ترث عن زوجها شيئا، وإنما كان مالها هو ما بقي لها عن أبيها، ولكن ما الفرق؟!

والعجيب ولو أن أي شيء لم يكن عجيبا في ذلك الزمن أن أمر الحراسة يقول حرم المرحوم.. كيف تجرأ مصدر الأمر وخط كلمة توحى بالرحمة ليقع بها قرارا لا يتصل بأي رحمة. إن أغلب مواد القانون تقضى بأن يعاقب المذنب بغرامة قدرها

## □ نفوس من ذهب وفضة

كذا من المال، أو يسجن قدره كذا من الشهور أو السنين.. فالغرامة المالية إنزن  
تستوى عند القانون مع العقاب الجسماني. وهكذا يصبح الاستيلاء الكامل على  
مال شخص ما حكما بالاعدام المدني، وبلا محاكمة.  
ومن عجب أن يصدروا حكما بالاعدام المدني على شخص مات فعلا.. كيف  
يريدون أن يقتلوا من مات.. القانون يسمى هذه الجريمة المستحيلة، لأن القتل لا  
يكون إلا للحياة، ولا سبيل لأحد أن يقتل ميتا.. ولكن مع ذلك العهد لم يكن شيء  
مستحيلا.

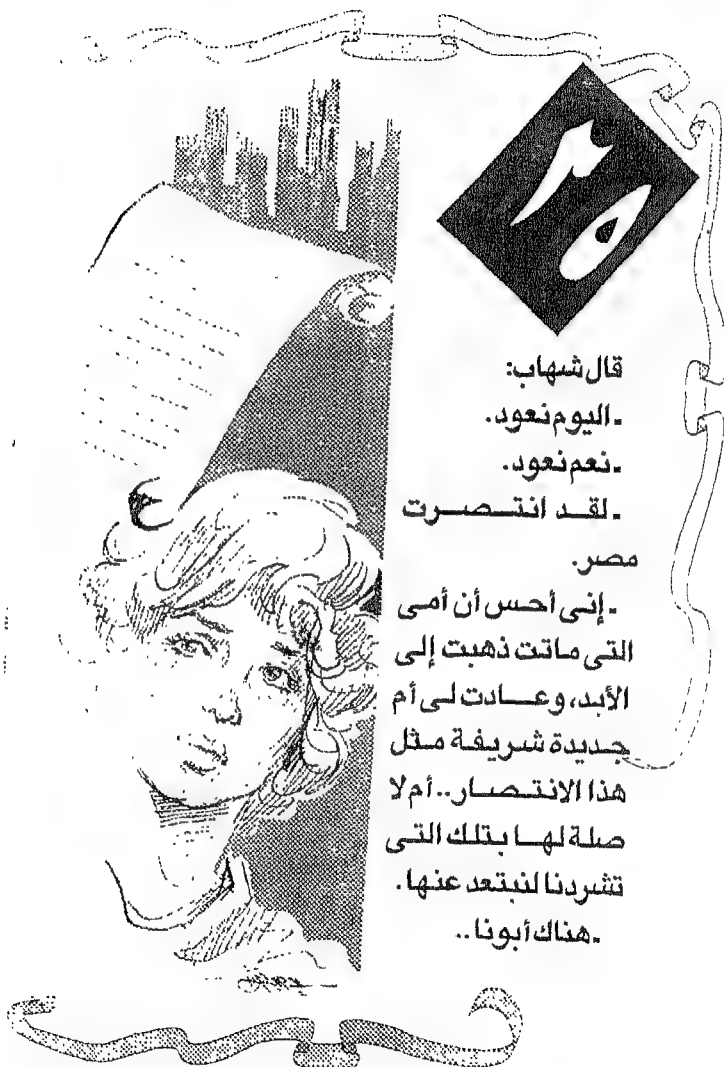
لم يأبه أسامة، وإنما عاد إلى مكتبه، وواصل طريقه في الحياة، وواصلت الحياة  
طريقها إلى جانبه.. صعبة عنيفة ولكنها شريفة.. وتسير.

\* \* \*

حين تفجر الحق في مصر، وحين أعاد الحكم أموال الناس إليهم، وحين انشده  
الظلام عن الصباح، وحين عادت الحياة إلى الحياة، أحس أسامة أنه استطاع أن  
يجتاز الأزمة الطاحنة.. ربما استطاع أبي أن يركب الموتوسيكل السيدكار، وربما  
عجزت أنا أن أجد في بعض الفترات دراجة أتقل عليها.. ولكن أبي استطاع أن  
يسير فوق الأزمة على موتوسيكل، واستطعت أنا أن أسير عليها بقدمي.  
ولم ينكس أبي رأسه للفقر، ولم أنكس أنا رأسي للطفوان.. عجا لم يكن هو أنا  
وأنا أربأ بشرفي أن يدنس ذهب الطفغان أو يذله تعذيبه.. من يدري لعل روحه  
تلبستني.. أو ربما.. لا أدري.. ربما كنت أنا شجاعا.. من يدري.. من سيدكر لي  
اننى لم أنحن.. لم أنافق.. لم أنذل.. وماذا يعني أن يذكر ذلك أحد.. يكفى اننى أنا  
أذكر هذا النفسى.. وحسبى، وفوق الحسب اننى أستطيع أن أواجه نفسى لا  
أخافها ولا استخذي.



## □ نفوشر من ذهب و نكاس



قال شهاب:  
-اليوم نعود.  
-نعم نعود.

-لقد انتصرت  
مصر.

-إنني أحسن أن أُمي  
التي ماتت ذهبت إلى  
الأبد، وعادت لي أم  
جديدة شريفة مثل  
هذا الانتصار.. أم لا  
صلة لها بتلك التي  
تشرذنا لنبتعد عنها.  
-هناك أبونا..

## □ نفوس من ذهب و نبال

- لعلنا نجده قد تغير.

- لا أظن.

- وهل كنت تقن أن مصر ستنتصر؟

- اسمع. لماذا لا نتغير نحن؟

- كيف؟

- إن أبانا لم يشعرنا أنه يحبنا.

- نعم.

- فهل أشعرناه نحن أننا نحبه.

ونظر باسل إلى أخيه طويلا، وراحت ابتسامة تنداح على شفتيه  
لتعلو إلى وجنتيه، ثم إلى جبهته، وخيل إليه وهو ينظر إلى أخيه،  
انه كأنما ينظر إلى مرآة، ولف الأخوين عبير مصرى له ذلك الأريج  
الخاص الذى لا يعرفه إلا من نبت فى أرض مصر، ومن ماء النيل،  
ترن فى أذنيه منذ ولادته: الله أكبر.. الله أكبر.. لا إله إلا الله.

رقم الايداع /

٩٦ / ١١ ٥٩٩

الترقيم الدولى /

977-08-0562-

٢٠٢٢







هي قصة ذات عروق بعيدة في أغوار الزمن. لست بطلا من أبطالها ولكنني أحب أن أحكيها.. كيف أحكيها وأنا لست واحدا من أبطالها.. هل يهمك كثيرا أن أكون من أبطالها مادمت سأرويها لك.. لن أقول لك أنها من واقع الحياة. فلا أحب أن أكون سخيضا إلى هذا الحد. ولكنني في الواقع لست أدري إن كنت أنت تحب الرواية من واقع الحياة أم من واقع الخيال. يقول الروائيون إن أهم شيء في العمل الفني أن يكون مقنعا ولا يهم من بعد المصدر الذي يصدر عنه. ولكن الحياة حين تؤلف لا تحاول أن تقنع. إنها تؤلف وتنفذ مؤلفها على الحياة وعلى صلات الناس بعضهم ببعض. وعلى بدايات حياتهم وعلى نهايتها ولا يعنيتها في شيء أن تكون مقنعة أو غير مقنعة للناس.. الناس جميعا في كل مكان شهود في كل قصة. وأبطال في كل قصة. وقد تلهبهم الأحداث عن محاولة الفهم. وقد يفكرون. والذين يفكرون هم الأغبياء لأنهم لن يبلغوا من تفكيرهم إلى ما تصبو إليه نفوسهم من طمأنينة. بل هم سيزدادون حيرة وقلقا. بل قد يزدادون سخطا وتبرما ولا تعني الحياة في كثير أو قليل بحيرتهم أو قلقهم أو سخطهم أو تبرمهم.

Biblioteca Alexandrina



0331650